عبق الروح

خواطر أدبية عربية

تأليف الكتابة إسراء مروان

مكتبة كتوباتي الإلكترونية

(عبق الروح)

خواطر أدبية عربية

نوع الكتاب : خواطر أدبية عربية

تأليف الكتاب : الكاتبة إسراء مروان

تدقيق الكتاب : إسراء مروان

تصميم الكتاب : م. الأديب العجوز

الطبعة الأولى

مكتبة كتوباتي الإلكترونية

(جميع الحقوق محفوظة)

(الإهداء)

وأهدي حروفي الّتي نسجت من بحرِ الخيالِ
غائصةً في عالمِ الإبداع موجّهةً نحو الأمامِ
وصولاً لتلكَ السّماء الأدبيّة اللّمعة بنجومِ الأمل،
أخطُّ كلامي وبروحي رسالةً أودُّ إيصالها من نسيجِ
كتابي الممزوج بخليطٍ من المشاعرِ المكنّةَ من قلبٍ
يهوى نقلِ الإحساسِ لفريقٍ كان كالنّور الّذي رأيتُ
من خلالهِ قائداً بمتانةِ قلبهِ جعل الطّريقَ أمامي
ممهّداً القدوةُ لنهجي خلفَ اسمهِ" لؤي الشّولي "
يسطّرُ سلاحُ الشّدائد.
أخطُّ بعظيم اللّطف أنغامي لتتهاوى على شخصٍ
من نسيج الحياةِ صنعَ لي شعارَ الفنِّ والإبداعِ،
إليكَ يا من زرعتَ بقلوبي حبَّ الأمل، إليكَ
حروفٌ تخرجُ من ترانيمِ قلبي لتأخذَ مجراها بصداً
يجعلها تصلُ إليكَ بأجملِ الأنغام من منحني كاملُ

الثّقةَ لأسيرَ بنهجهِ وكلّي فخرٍ فما أتاحَ أمامي من فرص" رمضان شيحان " طبتَ وطابَ ممشاكَ وتبوّأتَ من الجنّةِ منزلاً.

وأشكرُ جميعَ من ناضلَ بوصولي لخطِّ أولى حروفي وصولاً لتجسيدِ ما أنا عليه.

وها قلبي يروي إليكم حروفاً عن الحياةِ وما يسكنُ في جوفها من تجاربٍ ومشاعرٍ شتّى راجيةً الفائدة ممّا خطّتهُ اناملي وصولاً لقلوبٍ نقيّة لا تسمحُ لدخولِ الضّغنِ أرجاؤها.

بقلمي أسيرةُ الصّمت

*****

(المقدمة)

من نفسي، من بينِ خبايا الضّلوع، من همساتِ الحياةِ ومن قسوةِ صعابها خرجت كلماتٍ وحروفٍ لا يمكنُ لعديمِ إحساسٍ فهما، من روحٍ كانت غائصةً في أعماقِ السّراب بعزيمةِ الفؤادِ وصلت إلى حيثُ ترى، من وريدي حيثُ الحروفُ سطِّرت، والكلمات شكّلت سلّمَ الوصال، أقدمُ نفحةً من ما نسجته أناملي لتتشرّبَ من أصالتها قلوبكم وبداخلي يقينٌ بإسعادكم، بما خطّتهُ نبضاتي، مزيجٌ من أحاسيس الحياة، حزنٌ، أملٌ، حنينٌ، حبٌّ، وإشراق التّفاؤل، هذهِ السطّورُ بها وجدتُ ضالّتي وكانت لروحي سبيلِ التّقدم إلى حيثُ أود، وأتمنّى أن تضفي لمعةً وبصمةً داخلَ روحِ كلّ من يقرأ، أخرُ كلامي، فلتقرأوا بقلوبكم قبل عيونكم

وتتمعّنونَ الحروفَ كإحساسٍ جميلٍ بروعتهِ يغزي القلوب.

بقلمي أسيرةُ الصّمت

*****

(قسم الخواطر)

/نبضٌ جديدٌ بإحساس ـ قلم/

الإنسانُ كائنٌ دائماً ما يُظهرُ عكسَ ما يُخفي، يدَّعي الكِتمان وهو بأمسِّ الحاجةِ للكلامْ، يخبِّئُ مميّزاتٍ داخلهِ إنْ خرجتْ تضفي بريقاً لامعاً ليسَ لنفسهِ فقطْ بلْ سيكونُ لجميعِ منْ حوله.

والعاقبةُ الّتي تشكّلُ عائقاً تطفؤُ نورَ الإبداعِ قبلَ أنْ يُظهرُ، وتجعلهُ معتماً لا بهجةَ له ' زيفٌ جامحٌ منْ أقوالِ البشر ' وهذا ما يجعلهُ يخفي كلّ ما تمنّى وحلمَ بينَ طيّاتهِ، ليبقى بأمآنٍ إلى أنْ يحينَ وقته..

هذا ما كانَ عالقاً في خلْدي.

لكنْ بانتمائي لعائلةٍ جديدة جعلتْ كلَّ ما تمّ كتمانهُ يَظهرُ رويداً رويداً.

عائلةً تزيلُ عتمةَ الخوفْ، وتمسحُ ما تبقَّى منْ أحساسٍ بأنَّ كلامي هو محظى سخرية لا أكثر.

لمْ أهتم، نعم لمْ ألقي بالاً لما يدورُ حولي، فقط ما نظرتُ إليهِ هو أنّني سأبدعُ وأتألّقُ بينَ حروفٍ جعلتني أكثر طموحاً بنفسي.

عائلتي الجميلة الّتي دخلتها وأنا بقمّةِ الخذلان مما كنتُ عليه، وبدعمهم ونورهم الّذي يشرقُ أمامي وكأنّني على مسرحٍ يسلّطُ الضّوء داخلي كي أبدعَ بما أخطُّ وأتفنّنُ بجميعِ ألوانِ الفنون، منْ خلالِ قلمٍ حبرهُ دمي، وكلماتهُ الّتي تسطّرُ إحساسي

ومشاعري الّتي لطالما تعمّدتُ كتمانها، ولكنْ أيقنتُ مؤخّراً بأنّ إخراجَ الشّعورِ وما يقبعُ بينَ أضلعي أجملُ بكثيرٍ منْ أخفيهْ ..
وبكلِّ ما أملكُ منْ حبٍّ وتقدير، أدينُ بشكرٍ وكلّي اعتزاز وفخر /لإحساس ـ قلم/ والّذي بتُّ أنتمي إليه، ومنهُ استعدتُ شخصيّتي الّتي دفنتها مسبقاً وأصبحتُ الآنَ بكاملِ إشراقي وكلّي أملاً بأنْ أكسبَ لقبي ككاتبة دخلتْ فريقاً سرمديّاً متألّقْ..
/ احساسُ ـ قلم /
والألفُ ـ إيماني بأنّي سأصبحُ نجمةً مبهرة.
والحاءُ ـ حبٌّ خُلِقَ بينَ ثناياي وباتَ يسيرُ نحوَ السّماء.
والسّينُ ـ سعادةٌ غمرتْ أضلعي فورَ انتمائي لفيريقٍ سيأخذُ بي إلى حيثُ أحلمُ.
والقلم ـ هو الصّلةُ الّتي أخرجُ إحساسي عبرَ دمٍ تسربَ وأصبحَ حروفاً تنسجُ كخيوطِ الشمسِ الّتي تشرقُ بعد الظّلام...

*****

/ كتابة تخطّ من دمي /

حينَ تتعثّر الكلمات ويحلُّ داخلَ أفئدتي هدوء ما قبل العاصفة، تبدأُ دمائي بالتّخسر هاربةً تحملُ كمّاً هائلاً من المشاعرِ الّتي باتَ وجودها ينهشُ ما هو سليمٌ دونَ رحمة.
ترَ إلى أينَ ستفرُّ وتتفجّر؟
اراها تذهبُ بعيداً عن مجرى تنفّسي، لم أجد سبيلاً للنجاة إلّا بتقل الملوّثات والنّزوف بكلماتٍ لا أحدَ يستطيعُ تفكيكها، تبقى سرّاً بما تحمل بعيداً عن كيدِ البشر.
أكتبُ لأنّني أشعرُ بغصّةٍ عالقةٍ بحنجرتي لم أستطع كتمها ولم أمتلكِ القدرة على تبريرها ولا حتّى إيحاؤها، أكتبُ لأنّ كلّ ما في جوفي تسرّب داخلُ شراييني وصولاً لانامليِ، وكم من تأثيرٍ لها باتت تخدّرُ أوصالي من تفاقمها، سالبةً سيطرتي عن توقّفها كانّني مسكرةً ذاهبةَ العقل، لا أفقهُ شيئاً سوى معاناتي الّتي لا ولن تحتمل ولا بدَّ لي من أن أتخلّصَ منها.
فتبدأُ أناملي بخطٍّ ما توصّلَ إليهم من زيفٍ وأهاتٍ مريرة، تحرجُ كحروفٍ تحملُ الكثيرَ والكثير من غيرٌ انتهاء.

*****

/ الإسراء /

ليسَ مجرّدُ حروفٍ إسمي، لم يكنْ لقباً أُنادى بهِ لأُميَّزَ عن غيري فحسب، بل هو شخصي، هويَّتي، وصفي وموصفي، هو نسيجُ عظمي الَّذي تشكَّلتُ منهُ في رحمِ أمّي، وخرجتُ لدنيايَ أتنغَّمُ على أوتارهِ بروفهِ ومعناه، حيثُ أعشقُ السَّيرَ في ظلامِ ليلةٍ، وأكونُ بقلبي نورَ المسير، فأخطو وأحلِّقُ في عالمي الأثير بسرعةٌ برقٍ لامتصاصِ رونقِ القمر، أنا الهادئة في دجى العواصف، أنا الصّامتة في ضجيجِ نيازكِ السّماء، أنا المميّزة بشرفي حملي نفحةً من رحلةِ المصطفى محمّداً صلاةُ اللّهِ وسلامهُ عليهِ حينَ أسرى لربّهِ بظلامِ ليلةٍ وسمّيت ليلةُ الإسراء، ومن هذا خُلقت بهجتي، وجمالُ ابتسامتي، وبعزِّ ليلةٍ هوجاءَ مظلمة أضأتُ مصابيحَ الأملِ والإشراق، ودائماً ما أسعى لأكونَ أيقونة التّميّز ليسَ لاسمي فحسب بل لكوني حاملةُ الاسم المدغمة بجميعِ صفاتهِ، أنا الإسراء، أنا الإسورُ المرصّعُ باللّؤلؤ المكنون، ومن بريقِ قلبي جمّلتُ دربي وصنعتُ رونقي بأجملِ الفنون.

*****

/ نجاةٌ بعدَ كلِّ عناء /

ماذا يوجدُ في غرفةِ الكتابة؟
نفسي تخاطبُ السّائلَ بتهكّم: هههه سؤالٌ سازج لا مكانَ لهُ منَ الصّحة، قلتُ تلكَ الحروف واستدرتُ بغيةَ الخروج،

أوقفنِي المغفّلُ بسؤالهِ مرّةً أخرى، ماذا يوجدُ في غرقةِ الكتابةِ خاصّتكِ؟
بعنفٍ جذبتُ يدهُ وقلتُ في سخطٍ وعلامةُ الإرهاقِ كستْ وجنتيّ: ألا تريدُ أن تعلمُ ماذا يوجدُ في كنفي؟

فتحتُ بابَ حجرتي على مصراعيها وفورَ فتحها صدحتْ رائحةُ الغبارِ الّتي تأكلُ رئتيَّ كلَّ يومٍ وحدي دونَ شفقة، علامةُ الصّدمةِ والوجومِ بدت على ذاكَ الغريب،
أكملتُ حديثي غيرُ عابئةٍ بما أصابه، غرفتي، غرفتي هذهِ مقبرتي، مدفني في كلِّ ليلة، تلكَ الّتي تسكنها أفكاري،
معناتي حروفي الهزيلة الّتي أكلتْ من طيفي أجزاءَ وأجزاء،
هنا أوراقي، ألا ترى هنا الأقلام،

هههههه، أقصدُ دمائي، انظر انظر هناكَ إحساسي الكئيبُ منتزعُ الرّوح، هل بعد تريدُ أن تعلمَ ماذا يوجدُ في غرفةِ الكتابة؟

دعني اقولُ لكْ: غرفتي هذهِ هي نجاتي من الموتِ كلَّ ليلة، كأدواتٍ مسعفةً لروحي من الفناء.

*****

/ نجمٌ برَّاق /

لمعةُ روحٍ ببريقِ الحياة قد أشرقتْ.
زهرةُ قلبٍ بسقيا ماءٍ عذبٍ إغرورقت فأرتوت وتفتّحت وبعيناىَ أنظرُ فأراه قمراً لامعاً ككوكبٍ درّيٍّ يسيرُ في الأفق، كنجمِ القطب يوجِّهُ السّائرينَ لوجهتهم، كبحرّ هادئةً أمواجهُ لا مدَّ فيهِ ولا جزرْ، كقمرٍ بنصفِ شهرٍ شكّلَ بدراً منيراً أنارَ اللّيلَ في عتمتهِ لا هو هلالاً ولا محاقاً منهيٍ، في عظمتهِ كشمسٍ في عزِّ الشّتاء ظهرت فأحتلّتِ السّماء في حضرتها لا وجود لغيمٍ أو مطر، كنسيمٍ عليلٍ حلَّ على صيفٍ بائسٍ فأحيا أرواحاً تلفت من حرّها وأنعشَ قلباً سأمَ الحياة وتملّكَ منه الضّجر، كروحٍ لا ماءَ تحيها و لا دماءاً تجري بعروقها فتعيدُ دورتهُا، قلباً مكفهرّ لا نظمٍ فيه ولا ثبات، فاسقه من روعتكَ ينشدُ طرباً، بلوعته يغمرُ أرضاً قاحلة، وبنوره ينيرُ الآفاقَ كبريق الشّهب، ماذا داهنـي؟
عن ماذا اتحدّث؟
هل أصابَ عقلي الجنون؟
تهزي نفسي بكلماتٍ لا معنى لها ولا تعبير؟ عادتْ لنفسي توازنه وابتسامةٍ زيّنت محياي عندَ إدراكي ما لم يتفوّه به فمي بل كان من نسيج قلبي مصدرهُ،

نعم لم يكن عجباً أمري لا ولمْ أكنْ أهزي فكلامي وجميعُ أوصافي حبّاً لا أرضَ توصفهُ ولا جوّ الفضاء، ولم تكنْ تعابيرُ حروفه سوى أنغام الحبّ الّتي تعزفُ على إيقاعٍ من فنونِ الشّعرِ والغزل، وتيرتهُ نسيجُ عشقٍ لا نهاية له ولا منتهى، لا أول له ولا آخر، بل من دمِ القلب أُخذَ صلصالهُ ومن الرّوح إشراقه، ومن رونقِ العينِ بريقهُ،
حبٌّ بوصفي أعطيتهُ لغةَ النّجمِ البرّاق.
فالحاء فيه حياةً بعد طول انتظار.
والباء بشدّتها وتوكيدها بريقٌ مشرق أتى بسوادِ ليلٍ فتحدّى نورَ القمر في السّماء.

*****

" رباط الرّوح "

في زاويةٍ ما وفي كلِّ جزيءٍ من هذهِ الحياة، هناكَ ما يجعلنا نرى الدّنيا بأعينٍ أخرى، لا مالَ يحييها ولا استسقائها بحراً من العطاء، وأعظمُ جزيءٍ هو ذلكَ الحبّ الّذي ينسجُ بينَ الأرواح فيشكلُّ بوجودهِ جسراً منيعْ لا يمكنُ كسرهُ، حروفِهُ تلكَ الّتي ينطقُ بها نبضاتُ القلب الّذي يتحشرجُ بينَ الضّلوع، فيصمتُ حينها اللّسان، هناكَ بينَ نفحةٍ من أنفاسٍ حارّة، وعيونٍ هائمةٍ في سوادِ المقل، وبينَ لمسةٍ تعيدُ تدفّقَ الدّماء إلى الرّوح، يصنعُ جمالَ الهيام، وبينَ لوعةِ الصّمت وأنغامِ التّعبير يشكّلُ نسيجَ الرّوح، ألا وفي كبرياءِ التّجاهلِ وفنِّ الإهتمام، يسكنُ ذاكَ الحبّ الّذي أبصرهُ الأعمى، وسمعَ أنغامهُ الأصمّ، ونطقَ جمالُ حروفهِ الأبكم، ولامستْ وتيرتهُ المشلول، قبلَ أن يدركَ بريقهُ العاقلُ ويحسّهُ السّليمُ المعافى، في الحبِّ لا يوجدُ للقلبِ سلطاناً يحكمهُ بل كلُّ روحٍ بما تهواهُ تقع.
رباط الرّوح أجملُ رباطٍ تكنُّ لهُ القلوب، ويبقى شعارُ الزّمان، فيصبحُ لرّوحِ الوتين، ويشكّلَ الدّماء للشريان.

*****

/ سلاحٌ فتّاك /

شعلةٌ من نور، دخلتِ القلب، استقرّت في اللّب، ملأتِ الكيانَ بالحياةِ والحبّ، وكانت للعقلِ الطّبيبَ والطّب، تحوّلت لمرحلةِ اكتسابٍ واستلاب لكلّ ما هو جميلٌ محبّ (ودّ، احترام، حنانٌ واهتمام).

مهلاً انتشرت رائحةُ الرّماد، أيعقلُ أن يكونَ القلبُ تفحّم؟

لماذاا؟

ألم أكن أدركُ أنّها شعلةٌ زائفة؟

نعم إنّها ' شعلةٌ حبٍّ مخادع '

حبّاً يكسوهُ الغدر، انتقلَ من نورٍ إلى بركانٍ سحيق، توهّجَ فأظلم، أخفى بينَ لهيبهِ كلَّ منافذِ النّور، سوادٌ على سواد، حممٌ ابتلعت كلّ ما يسمحُ بإعادةِ الحياة.

أصبحَ قلبي كوكباً غيرٌ صالحٍ للعيش سوى ركنٍ وصّدتهُ بصدقي لا يسكنهُ سوى من كان سلاحهُ الوفاءَ والإخلاص.

الحبّ: سلاحٌ نهشَ قلبي وكفى.

*****

/ مفترقُ الغد /

جلسةُ في شرفتي خلسةً، بينَ يديَّ قلمي وأوراقي تراودني الكاتبةُ بغتةً، لحظتها حروفٌ خرجت من جوفي تخاطبني على فراقِ أحبّةٍ، جفلتُ إثرَ كلماتٍ خرجت من الفؤاد، تئنُّ وتصرخُ من ألمِ البعاد: ما بكِ؟

هل لا صحوتِ من غفلتك؟

بضعٌ من اللّحظات وخلسةٌ من الزّمن وتشرقُ شمسُ الغد، سالبةً معها كلَّ حبٍّ وود، متى سوفَ تنتزعِ برودكِ؟

تهيّءِ لبدأ السّنين العجاف، تجهّزِ للترحيبِ بحزنكِ كما التّرحيبُ بالمسافر بعد طولِ غياب.

همستُ والحروفُ تتداخلُ مع بعضها، الألمُ يعتصرُ حنجرتي كالزّيتون الّذي يعصرُ فتخرجُ منهُ خالصُ الزّيوت: كفاكِ يا نفسي تأنّيبي، لم يطقْ عقلي أنْ يصحُ من حلمٍ لطالما كان يراودني، والآن تطلبي منّي لأن أتهيّأ لأراهُ كابوساً مخيف، أكملت والكلماتُ تخرجُ عنوةً: لا مرحباً ولا أهلاً بغد إن كانَ فيهِ تفريقُ الأحبّة.

جلستُ عقبَ انتهاءِ المشاحنات، ألتقطُ أنفاسي الأخيرة كالقتيل المحتضر، وروحي ترجو أن لا أرَ الغد.

*****

/ بقاعُ الذَّاكرة /

يومٌ مليءٌ بالعثرات، مزيجٌ من الخيبات، تطالعهُ جوفُ الذّكريات، لحظاتٌ خالدةٌ حتّى الممات،
سرتُ مناجدةً مكسورةُ الجناحين،
ولا أحداً يعلمُ ما يسكنُ في البين، نهاري كساعةٍ ممزوجةِ بعقاربها بينَ السّاعةُ والدّقيقةُ والثّانية، وروحي معَ كلِّ عبرةٍ تذوبُ في الأرجاءِ الحانية،
وصلتُ منهكةً إلى الفراش، والرّوحُ تريدُ مزيداً من الإنعاش، كروحِ قتيلٍ يحتضر،
مقتطعُ الأوصال والشّريانِ بدمائهِ ينهمر، عادتْ لذاكرتي أحداثُ يومي،
كمالعقلُ عندما يتهيّءُ لرَّحيل.
مسكتُ قلمي بأناملٍ ترتجف، والجسدُ هزيلٌ عجف، ينتظرُ شربتُ ارتواء، والنّفسُ قدِ احتّلها العناء،
واكتسحَ الأمعاءُ الشّعورُ بالإعاء، جفَّ حبرُ قلمي من فرطِ عقباتِ النّهار،
من برودةٍ وحرارةٍ وأشدُّ أنواعِ الإنصهار، بصعوبةٍ دوّنتُ على أخرِ أسطرِ دفتري،

ما تلقّاهُ قلبي من ألمٍ ومعزلي، خارَ قلمي من يدي، والجسدُ تيبّستْ أطرافهُ وتلبّدي، همستُ أخرَ كلماتٍ كانت الجملةُ الأخيرةُ الّتي شهدتها مذكَّرتي:

لا عدتُ أنا، ولا عادَ إليَّ ما أريد، لعلِّي ألقى ما وعدتُ بهِ في يومِ الوعيد، لحظتها تلاشتْ أسطرُ دفتري، والعبراتُ غزتِ المقلي، والرّوحُ طارتْ إلى حيثُ تجيدُ أمانها.

*****

أمازلتَ تقاوم؟!

غدوتُ وحدي في عالمِ الظّلام، أقدِّمُ خطاً وأعيدُ أخرى، روحي سئِمتْ دخولِها إلى عالمِها الموحشُ، كمالعصفورةُ تخشى القِيود، وصّدتُ بابَ حجرتي، عقبَ دخولِي أبصرتْ مقلتيَّ طيفٌ يشبهني، ضيّقتُ جبهتي في حيرةٍ من أمري، سؤالٌ جالَ بخاطري من هذهِ الغريبة؟
مضيتُ وقلتُ في نفسي: ها قد بتُّ أهزي كمختلٍّ عقليٍّ، لم أكملْ كلماتي إلّا أنّني تصنّمتُ مكاني إثرَ سماعِي لصوتِ ضحكتي من خلفي، وصوتي يقولُ لي: هههههه، أمازلتِ تقاومي إلى الآن؟
حروفٌ دخلتْ جوفي بعثرتهُ كعاصفتٍ هوجاء، تثاقلَتْ أطرافي، أدرتُ جسدي قليلاً، نطقتُ كلماتٍ خرحتْ من جوفي عنوةً: الكلامُ لي يا هذهِ؟
طيفي: نعم.
قلتُ في عجلتٍ ويديَّ تبحثُ عن أقربِ شيءٍ أسندُ جسدي الهزيلِ المنهكِ عليهِ خشيتَ السّقوط: أتسألينني مازلتُ أقاوم؟
ابتسامةُ سخريةٍ ارتسمتْ على شفتيّ، أكملتُ ووجنتيَّ تدلّت كمن ألقيَ حتفه: أُقاوم، لا بل أصارعُ الموتُ كلَّ ليلةٍ ومازلتُ أنتظرُ اللّحظةَ الّتي سوفَ يغلبني بها، ويأخذُ بي إلى حيثُ

يشاء، نطقتُ أخرَ حروفي ومعَ كلِّ حرفٍ تصعدُ روحي رويداً رويداً، هاا، قد انتهتْ فترةُ المقاومة.
تهاوى جسدي ينازعُ الموتُ للمرّةِ الألف، ونفسي في هذهِ المرَّة كفّتْ عن المُقاومة، وها هي تلفظُ أنفاسها الأخيرة.

*****

/ اقتطاعُ حبلِ الوصال /

زهرةٌ تزيّنها اليراعين، نفحةٌ من الحنين، غلبَ عليها عطرُ الياسمين، إنشودةٌ لطيفٍ من الأنين، غريقةٌ أنا ممزَّقةٌ مقطوعةٌ المنكبين.
مهلاً رويدكَ ياهذا، قطّعتَ أوصالي إرباً إرباً، لم يعد يكفيكَ فعلتكَ؟
أكملتُ صراخي وروحي المتلفةَ تهزّهُ عوضاً من قصاصاتِ يديَّ الّتي بترت، يا لكَ من أحمق أتطلبُ المسامحةَ ولا تلعمُ أنَّ قلبي في فناءِ الحياةِ مدفون؟
أتريدُ العفوَ وأنتَ غير مبالي بمن سيخيطُ تلكَ الجزيئاتِ الّتي لم تعد صالحة لإعادةِ تدويرها؟
بنكستِ رأسٍ وعينينِ لا تقوى على النّظرِ إلى طيفي قال: لم أكن بوعي فلتصفحِ عنّي.
بضحكةٍ ممزوجةٍ بالبكاءِ قلت: سوفَ أسامحك إن كان بوسعكِ جعلِ من فتاتاتِ روحي تلكَ الفتاةُ البريئة، سأصفحُ عن جشعكَ إن كان بوسعكِ إحيائي.
دارَ ظهرهُ للمرّةِ الألف واقتطعَ أخرُ حبلِ الوصال، ورحلَ حيثُ تلاشت أحزائي عقبَ ذهابهِ مع أدراجِ الرّياح.

إقصاصُ روح، خاليةُ السّفوح، لا منجدَ ولا وصالَ لجيدي الذبوح، هذا هو حالُ روحي لحظةُ كتمي للبوح، فناء، تحطيمٌ كهدمِ البناء، وكلٌّ من حولي رحلوا منتزعنَ من جوفهم كافّةِ أنواعِ السّخاء، وها أنا اليوم شهدتُ نفسي كوردةٍ نزفتْ من ثناياها الدّماء.

*****

/ صراعُ طحنِ القلوب /

أحببتهُ وأحبّني لأعوامٍ وأعوام، وشكّلنا بقلوبنا بيتاً بأجملِ القوامْ، فهلْ بعدَ ذلكَ للحبِّ أن يتلاشى؟

أم أن يتحوّلُ ذاتَ يومٍ لحلبةِ مصارعة؟

سأدعُ الخيارَ والحكمَ لكم بعدما تصغوْنَ لما سأرويهِ على مسامعكم.

أحدّثكم وأنا أقفُ خلفَ قضبانٍ حديديّة في جلسةِ محكمة، حيثُ أسمعُ تلكَ الإفتراءاتِ الموجّهةَ إليّ وأنا في عالمٍ ليسَ بعالمي، حيثُ أصغي والعباراتُ تزيّنُ وجنتيّ وأتلقّى وابلاً من الطّعناتِ حيثُ سمعتُ أحرفاً ممن هامَ بهِ قلبي يقول: يا سيّدي القاضي تلكَ الشّنعاءُ سلبتْ منّي جميعَ ما أملكْ.

القاضي: كيفَ ذلكْ؟

قالَ: كلَّ يومٍ أجني وأجني ولا أرى ممّا أجنيهِ شيء، وغيرَ ذلكْ تتّهمني بالخيانة مراراً وتكراراً.

القاضي: فهلْ أنت خائنٌ كما تقول؟

ردَّ مزمجراً: ما فعلتْ!! أخرجُ كلَّ يومٍ لعملي وأعودُ متعباً وهي لا تبالي، سئمتُ الحالَ، وبتُّ لا أعودُ إلى المنزلِ قطّ.

القاضي: وهلْ تعتقدُ ذلكَ يدّعي أن تصلَ للطّلاقِ والشكوى؟ فهذا غيرُ كافٍ.

قالَ وعلاماتُ الغضبِ بدتْ علي محياه: أحببتها وشكّكت بي، أباتُ خارجَ المنزلِ لكي أوفّرُ لها ما تريد، وها أنا الآنَ أقفُ أمامكَ ولا أملكُ شيء.

لمْ أحتملْ وابلَ الطّعناتِ المتتالية على قلبي، صرختُ بأعلا صوتي وقلتُ بقلبٍ ممزّق: كفى كفاااكَ قولَ ما لا تعي منهُ شيء، ألا يكفيكَ سرقتَ قلبي، وأذقتني المرارَ ألوان وذلكَ ثمنُ حبّي لك، عن ماذا تتحدّث عن نقودكَ ؟

دعني أقولُ لكْ إذهب إلى المنزلِ وقم بفتحِ ذاكَ الرّفَ الموضوعَ خلفَ بابِ حجرتي، وانظر داخلهُ، ولا تنسى أن تقرأ جوابي لك.

تتّهمني باللّامبالاة؟

هل سألتَ نفسكَ يوماً عن هذا السّوادُ الذّي يلوِّنُ وجنتيّ؟

أم عن تعبي الدّائمُ الّذي أخفيهِ عنكَ لأكونَ بنظركَ الزّوجةَ المثاليّة؟

قلْ ليي هل كنتَ تبالي بي وتشعرُ بتمزّقِ قلبي ليلاً؟

حيثُ حادثتكَ وأتاني صوتُ تلكَ الأنثى الّتي تقبعُ بينَ أحضانها حراماً وزوجتكَ تتلوّى وحيدةً دونَ سند.

دعني أقولُ لكْ: إنّني مصابةٌ بمرضِ سرطانِ الدّم، ونقودكَ تلكَ احتفظتُ بها لكي لا أراكَ يوماً بحاجةٍ إلى إنسان، أمّا عن

سكوتي عن خيانتكَ فلا مجالَ للجدالْ فهمْ بضعتَ أيّامٍ وأفارقُ الحياة.

هذهِ هي أنا!! من أحبّتكَ وأعطتكَ قلبها وروحها ومقابلَ ذلكَ تلقّيتُ منكَ الطّعن، ومعَ كلِّ ذلكْ!! وضعتُ يدي موضعَ قلبي حيثُ اعتصرهُ الألم أضعاف، وأكملتُ آخرَ خروفي بتثاقل: أحببتكَ، ومازلتُ أحبّكَ رغم جميعِ العذابِ الّذي أصبتَ بهِ روحي، أحببتكَ لا تنساني.

عقبَ أخرِ كلماتٍ نطقتها فارقتْ روحي الحياة، وذهبت إلى محكمة السّماءِ تنصفها حيثُ هناكَ ربٌّ يتّصفُ بالعدل.

هرولَ مسرعاً وجسى على منكبيهِ، وباتَ يهزّها بكلتا يديهِ وهو يصرخُ: لاااا، لا تتركيني وترحلي، سامحيني ناشدتكِ باللّه، لم أدعكِ تشعرِ بألمٍ بعد اليوم لكن عودي، لا يمكنني العيش من غيرِ وجودكِ، أحبّكِ عوددي.

استيقظَ من غفلتهِ وندمَ لحظةً لم ينفع فيها النّدم.

أحبّتي رسالتي إليكم حافظوا على قلوبٍ احبّتكم بصدق، كونوا لأنفسكم كما الظّل لا يفارقُ صاحبه، واعلموا أنّ كلَّ فعلةٍ تقومونَ بها غيرَ مبالينَ تمنها ارواح.

لا تحسبنَّ ألمَ القلبِ هيّنٌ وهو عند اللّهِ عظيم.

*****

/ أوتارُ القلب /

دخلَ القلبُ جوفَ الماءِ فاغتمر
منْ فرطِ طيبهِ قسى فتألّمَ ثمَّ انصهر
يأخذُ عطرهُ من حياةٍ يملؤها العبر
فيلينُ ويمسحُ آثارَ الجروحِ مثلَ المطر
هذهِ الحياةُ وهذي الرّوحُ والقلبُ اعتمر
بمشيئةِ اللّهِ يمحُ الذّنوبَ ويزيّنهم بألوانِ القدر

لا تكنْ مثلَ الطّريق يمرُّ منهُ كلَّ عابر ..بلْ كنْ كالبحر لا يدخلُ أعماقهُ إلّا كلُّ غواصٍ ماهر.

*****

/ معاني حبٍّ ضائع /

هل سنحظى بمن يجعلنا نقولُ ليتنا نعودُ لعمرِ الشّبابِ الفَ مرّة؟
لكي نستمتعَ بلحظات عودتنا للحياة، هل سيأتي يوماً ونرى أرواحنا تحلّقُ في ميدانِ الحياة دونَ منازع.
سنمضي بلا عودةٍ ولا شقاء
لأنّه حتماً سيأتي يومُ الرّحيل والفناء
ولكن نودُّ لو نلقى بأرواحٍ
تعانقنا وتجمعُ أشلاءنا رغم العناء
تمدُّ لنا يدَ العون بكلِّ عفويّةٍ
وتزيلُ الدّموعَ وتجعلنا أقوى الأقوياء

سيأتي ذاكَ اليوم حتماً ستاتي تلك اللّحظة الّتي نقول فيه: ها قد جعل اللّه كلّ ما حلمت به حقاً.

*****

/لحظةُ إدراك /

حينها حينما عصفت بيّ الحياةَ وألقت على روحي حتفها لحظةً صحوةُ من صدمةِ كمن صفعَ صفعةً مدويّة لم أعي إلّا أنّني سرتُ في طريق الحطام طريقًا لم يكن يوماً هو وجهتي، هل تسألونني كيفَ أصبحتُ بعدها؟
دعونني أوقل لكم: هههههه، بتُّ صريعةَ نفسي باتت أذنيَّ تصغي لعمقٍ لا يصلُ إليهُ مختلّ، لم أصغي سوى لصوت تكسير روحي لحطامٍ كمن ألقيَ عليها أعباء الكون بأكملهِ، لم ترى عينيَّ حينها سوى سلبِ ألوان الحياة حيثُ تلاشت وتناثرت فأصبحتُ في الحياةِ أتجهّزُ كجثمانٍ قتيلٍ يحتضرُ للدّفن.

*****

/ بارِدُ كالميّتِ المحتضر /
ومازلتُ أواسي نفسي ببرودٍ كمن خلقَ في كانونْ
جفَّ الحبّرُ والدّموعُ أحرقتِ المقلِ والجفون
مالِ قلبي لا ينكرُ حرّهُ فمازادَ بهِ الجنون
مازلَ هجركِ يحطّمُ روحي كقطعِ الغصون
غادرتِ فؤادي كما أتيتِ وأطحتِ الأذون
ناشدتكِ اللّهَ عودي واقطعِ عشقكِ المدفون
لم أعد أودُّ حبّاً لم يعد يهوى قلبي العذاب
ولا يرغبُ بخوضِ المعاركِ والغوصِ بالأتراب
انتزعتكِ انتزاعَ الشّوكِ من جيدِ الغراب
لا تنتظرِ منّي كفاحاً ولا غراماً كغرامِ الأحباب
فلترحلي لم أعد أودُّ رأيتُ ناظركِ مغرماً
لم يعدْ يلفتُ انتباهي ما كانَ يذيبني مسبقاً
غوصِ في بحرِ الخداعٌ لم أعد مرغماً
ولا ما يخصّكِ يعنينِ ولم أزلْ بالحبِّ مفعماً
ها أنا اليوم أسيرُ وحدي دونَ مؤنسٍ
وأواسي نفسي وقلبي مثلجٌ كالثلجِ في كانون

*****

/ الرُّوحُ وما تهوى /

في دنيايَ، وما أثنتهُ في طريقي من تغريد، فإنَّ روحي تهيمُ وتحلّقُ في ميادينِ الحياة، القلبُ يتمنّى،
والعيونُ تحلم،
وفي عقلي مخيّلةٌ أضفتْ على سمائي رونقها،
ولكن هلْ ستبصرُ عيناياَ ما رَسَمت؟
أم أنّ لقلبي أنْ ينالَ ما يريد؟
ما كانَ إيقاعُ نغماتٍ تتراقصُ عليها أوتارُ قلبي سوا روحًا تضمُّ روحي وتكونُ لها الحصنُ المتين، قلبًا يصونُ قلبي كصدفةِ تحافظُ على لؤلؤتها من غرائبِ البحار،
وما ناشدَ بهِ عقلي، رجلاً، غيورًا، محبًّا،
هائمًا في سماء حبّي،
سكني مسكني وسكينتي، حياتي ومحياياَ وسلطانُ روحي،
واختتامُ ما جالَ بمخيّلتي
حبًّا كحبّ النّبي المصطفى
سندًا وآمانًا كآمانِ شفيعي
قلبًا كقلبهِ حبيبي حينَ أحبَّ عائشة فقال: حبّكِ بقلبي كقعدةٍ لا يمكنُ حلُّها،
كلّما جاءت إليهِ تسألهُ: ما حالُ العقدة؟ فيقولُ المختار: كما هي

ومازالَ قلبي يغرِّدُ بينَ النّجومِ في انتظارِ لقيا من سكنَ الفؤادَ في بعدهِ قبلَ قربه،
وزيّنَ القلب في غيابهِ قبلَ حضرته،
وكلّي في انتظارِ رفقتكَ يا من أخذتَ لقبَ خليلَ الرّوحِ بحسنك.

*****

مسكني

في كلّ ليلة أمكثُ بيني وبينَ نفسي وعتمةُ اللّيل تغمرني، أنظرُ حولي ما من مؤنس وحدتي أغمض عينيّ بتثاقل حيثُ العبرات تتساقطُ على وحنتي بحرارة وبقلب متألمّ من فرط الوحدة الّتي ألى إليها،
وجسدي الّذي أخذ من البرودةِ ما يكفي،
وبروحٍ منهكة تتمنى قربكَ يا خليلي،
يامن أستشعرُ لحظةَ قربكَ في كلِّ لحظة فأخذتني، مخيّلتي إلى حيثُ عالمكَ تضمّني بجناحيكَ في لهفةٍ،
فأتشبّثُ بسترتكَ وتزرفُ مقلتيّ كلّ الدّموع التي حبستها لاعوام،
أبكي وأبكي وبروحكَ تطبطُ على قلبي وبعذوبة صوتك تهمس جنبً أذني وتقول لي أنا جنبك انتي داخلي كألؤلؤ المكنون،
لم تكن حروفا بل كانت دواءاً لروحٍ انهكتها الوحدة،
وبأناملكَ تكفكفُ دموعي وتقبّلُ وجنتيّ حيث تستكين من حرارة شفتيك،
وترتسمُ ابسامةَ سعادةٍ على ثغري ويعلنُ قلبي لذةَ الأمان بقربك،

حينها أضع رأسي على صدركَ موضك قلبك وتضمني بكلتا يديكَ كمن يخشى على روحه الفرار وأهيمُ بعبيرَ أنفاسكَ حيث تكونُ أوّل لحظةِ أمانٍ أستشعرها فأغرقُ في بحر حبّك،
هذا دائما ما يتردّد في خاطري كلَّ ليلة ومع كلّ حرفٍ أخطّه من دماء قلبي اوقنُ أشدَّ القين أنّي سألقاكَ يوماً ما،
يوماً ما وهذا اليوم عمّا قريب.

*****

/ بريقٌ خلّاب /

خلال أيّامٍ مضت على التّوالي أصبحت كزهرةٍ قد أمتصَّ رحيقها، تمكّنَ منها السأم،
إختفت أشعّةُ الشّمسِ بين الغيوم حاجبةً الضّوء عن مرمى ناظري، تدلّى جزعي وانحنى،
وأعلنتُ استسلامي إلى اللّانهاية وإذْ ببريقٍ لامعٍ قد تسلّطَ نحوي جاذباً انتباهي لم أعطي بالي كثيراً ولكن مهلاً!
إنّهُ يقصدني بالفعل وها هو يزداد ويزداد ويجبرني على الحراكٍ،
وجّهتُ بصري نحوهُ وإذ بعيناي قد أشرقَ بريقها من لمعته، كأنّهُ نور الحياة من جديد،
لا تكفي تعابيري عن وصفهْ فاق روعته كلّ ما يحملهُ قاموسُ اللّغة من معنى،
فكان لي كسقيا وُجّهت لقلبي فأرتوى، بل كشمسٍ مضيئةٍ في يومِ شتاءٍ حالكِ كسا الكون دفئاً وأعطى ملامحي نضارةً، وكان كالحبرِ الّذي نقشَ على لوحةٍ فأضفى عليها جمالاً ورونقاً، ليس في مثلِ مبسمه مبساً.
ولا مثلَ نور عينيه إشراقاً،
لا هو بدرٌ في منتصفٍ شهرٍ

ولا نوراً في عزِّ ليلٍ، بل هو كالماءِ يعطي حياةً لمن لا حياة له، وكالشّمس الّتي تمثّلُ توازنَ لا الكونِ فحسب بل المجرّةُ بعظمتها وفي عدم وجود إشراقها دليل انتهاء الحياةْ.
عن روعةِ من سكنَ القلب أتحدّث.

*****

/ رقصةُ الأرواح/

في سوادِ اللّيل حيثُ عمَّ الهدوء، وأسدلت ستائرُ الظّلام، نسمةٌ من خليلِ الرُّوح أتت فسكنتِ الفؤاد، اشتدَّ سوادُ ليلي، حيثُ أعلنَ القمرُ الحلول مزيّنًا عتمةَ الأرجاء، برقت عيناياَ من روعتهِ وجمالِ بريقهِ، لحظةً فيها أغمضتُ جفوني وسمحتُ لقلبي أن يغرّدَ في سماءِ العاشقينْ في مسرحِ المغرمين، حيثُ صدحت سنفونيّةٌ أطربت أذناي، وتعالت أنفاسي، رقصَ قلبي فنادى مخاطبًا، أيا عشقي وملاذَ الكيانْ، أيا من ينتظركَ القلبُ متلهّفًا، والرُوح لكَ تجهّزُ عرشَ الملكوت، لأن تكونَ ملكاً يتوّجُ حاكمًا بخصالِ روحي ودماءِ الشّريان، أناديكَ لتأخذَ يداياَ بينَ راحتيك، وتحتضنني داخلَ روحكَ، وأهيمُ من نظراتِ مقلتيك، ونتمايلُ على ألحانٍ وأنغامٍ تُنشدُ على نبضاتِ قلوبنا المتراقصة، في مسرحٍ نكنْ فيهِ بحبّنا مثالُ العاشقينْ، فتأخذني إلى عالمكَ مغرّداً بعيداً عن مرءَ النّاظرين، حيثُ أضعُ رأسي موضعَ قلبك، وتعزفُ روحي على أوتارِ نبضاتهِ إيقاعَ الحياةِ، حيثُ نشوةٌ منَ السّعادةِ تنتابني، والآمان في أحظانك ينسيني لوعاتًا وآلامًا بجوارِكَ لمْ أعد أرَ طريقها، بتُّ أبصرُ بقلبي عشقكَ المدفون، المكنَّ من عاشقٍ مغرمٍ بي إلى حدِّ النّخاع، وفي تلكَ اللّحظة لمْ نصحُ سوا على تصفيقاتِ المحبّين المنشدينَ

بحرارة أنتم ثنائي عاشقي الأرواح، وتكونُ هذهِ الرّقصةُ الأولى مفتاحُ الهيام
فتحتُ مقلتايَ ورأيتُ أنّ سيّدَ المكان نبضاتُ قلبي المتراقصة، وحيالها نورُ القمرِ قدّ توهّج، وابتسمتُ مطوّلاً وقلتُ هامسةً مازلتُ لا أملُّ من انتظارِ لقياك يا من أنت مجهولٌ اليوم وفي حضرتكَ ستكونُ خليلَ الفؤاد.

*****

/ حبر قلمٍ يأخد من دمي /

تأئهةً بينَ أغصانٍ وأراقِ الشّجر
باحثةً عن شيءٍ ليسَ فيهِ ضجر
أهوى الغرامُ بكلّ ما به من مرار
ولكن ما يهواهُ قلبي هو حكمُ القدر
وعندما يعصفُ الهواءُ داخل قلبي
أخاف أن يتساقط مابه مثل أوراقِ الشّجر
أخافُ على أشخاصٍ تعلّقت بروحي
أن تبكي بسببي بكاءاً مجزوعاً منهمر
فمن طبعي أن أصون وفاءَ قلبٍ
أصبحَ لي مسكنا يحاط بالودّ والوقر
فيا ربّي كن معي لأصل إلى لقاك
بإخلاصٍ ولا أكون عبرةً لمن اعتبر
وأحافظ على أحبّتي بكلِّ رقّةٍ
فأنت يا ربّي بعفوكَ كريمٌ جبّارٌ مقتدر

*****

/ ما خلفَ السُّحب /

ضوضاء، بخارُ ماء، صريرُ رياحٍ هوجاء، سحبٌ خلفها سحبٌ في السّماء، فهلْ لا بعدَ ذلكَ بقيَ في جوفِ العقول غباء؟
ما استشعرتهُ تقلُّبٌ في الطّقس، غيومٌ أخفتْ خلفها ضياءُ القمر، شعاعُ النّجوم، ما أدّى إلى تحوُّلِ ملامحي للوجوم، تدلّتْ وجنتيَّ تعكَّرَ صفوُ قلبي من رؤيتِ الغيوم، ما هو الحال؟
تلفّتُ حولي، وتساءلتُ أين أنا؟
حسبتُ نفسي في صحراءٍ من حرِّها هذا ما علمتهُ وما جهلهُ عقلي، ماذا ياترى يكمنُ خلفَ السّحب؟
لحظةً غزى إحساسي الجوابُ القاطعُ بالقين، عبراتُ المطر، قطراتٌ تلوى الأخرى، خفقةُ قلبي أعادت لروحي إشراقها ولعيوني بريقها، إزدادَ المطرُ رويداً رويداً، إلى أن طهّرَ الأرجاءُ من غبارها كما نقَّى القلبُ من العتمةِ الّتي كستهُ دونَ سابقِ إنذار، بسمتٌ زيّنتْ ثغري، تورّدتْ وجنتيَّ همستُ حيالها بقلبٍ أنعشهُ عطرُ السّماء: هذا ما خبّئتْهُ السّحب، وهذا هو كرمُ اللّه، إعلمْ يا قلبي أنَّ خلفَ كلِّ مضارٍّ صيّبٍ نافع.

*****

/ منذري /

وقفتُ خلسةً، والجفونُ حائرةً، ودمعُ القلب يسبقُ العينين، لم يعد بالمقلِ بياض، ما أبصرهُ قلبي سوادٌ على سواد، استرقتُ النّظرَ وإذ بي أقفُ أمامَ مفترقٍ من طرقٍ شتّى، ضجيجُ النّاسِ من حولي، تشوَّشَ الفكر، وتاهَتْ خلايا الجسد، أحدّثُ نفسي كمختلٍّ عقليٍّ فقدَ صوابه: إلى أينَ سوفَ أخطُ؟
ماذا ينتظرني في نهاية المطاف؟
قاطعَ شرودي، صوتٌ من روعتهِ كمغنطيسٍ جذبني إليهِ عنوةً، وهو يناديني فيقول: هييّ يا أنتِ نعم نعم!! أنتِ لا تحملقي بي هكذا.
ما جعلني أعجبُ بأمرِ ما رأيتهُ أنّهُ خيالٌ أشبهُ بنورِ القمرِ، يناشدني وهو ينظرُ مطوّلاً إلى هيأتي، فقلت: ماذا تريدُ منّي يا هذا؟
المجهول: أنا نفسكِ الضّائعة، قلبكِ القريبُ البعيدُ منكِ في آنٍ واحد، أنا أنتِ فلا تعجبي، رأيتكِ محتارةً تائهة، أشفقتُ حالكِ فأتيتُ أرشدكِ مسارَ الطّريق.
فقلت معترضة: لا، لا أريد، ونظرتُ الخزي تكسُ ملامحي، أنا لا يحقُّ لي سوى مكاني هذا، لم أكن لأستحقَّ السّعادة، فأنا،

أكملتُ وأشيرُ بسبّابتي موضعَ قلبي، أنا من دنّستُ هذا القلب، وجعلتُ منهُ لعبةً للغيرِ لا أكثر.
أجابني القلب على عجلةٍ لكي أصمت: كَذبٌ ما تفتريهِ على روحك، ألا ترينَ كيفَ أضيءُ بدلَ اللّونِ ألوان؟
فهذا نتيجةُ أفعالكِ الّتي قمتِ بها غيرَ مبالية، ابتسمَ وأكمل: هنيئاً لي بصدرِ مَن وُضِعت، فما رأيتُ أجملَ من هكذا مسكن، أنتِ من أخذَ البحرُ نقاؤهُ من دماؤكِ، وصفاءُ السّماءِ أُخذَ من عينيكِ، كونِ أنتِ وأذهبِ أينما يرشدكِ نوري، ولا تبالي بالضّوضاءِ من حولكِ، فهناكَ الكثيرونَ والكثيرُونَ ممّن يريدنَ منكِ الوقوعَ فلا تسأمِي، أحبّكِ، فاصمدي وانتظريني نهايةَ ذاكَ الطّريق.
إختفى قبيلَ أخرِ أحرفٍ نطقها، نظرتُ مجدّداً إلى السّماءِ فرأيتها زرقاءَ لا غبارَ فيها، ابتسمتُ وروحي تتراقصُ فرحاً إثرَ شعورٍ أنعشَ الفؤاد، أعادَ لي قوّتي وتوازني، لحظتها شددتُ رحالي، وانطلقتُ مسرعةً إلى حيثُ أرشدني قلبي، وكلِّي موقنٌ جمالَ الختام.

*****

/ مرشدٌ مرسل /

إختلستُ من الوقتِ بضعاً، في سوادِ ليلةٍ أخرجتُ قلمي ودفتري لعلّي أكتبُ ما يخفّفُ معاناتي، وكلَّ ما يزيّنُ عتمتي شمعتي تلكَ الّتي أخرجتها من ذاكَ الرّفَ الموضوعَ بجانبي، وأوقدتها بعودِ كبريتٍ كنتُ محتفظةً بهِ من زمنٍ لا أذكره، وعدتُ لشرودي بأفكاري الّتي أكَلَتْها الحيرة، فجأةً رأيتُ خفوتَ ضوءِ الشّمعةِ الّتي تحوّلَ لونُ نارها إلى سواد، لوهلةٍ نظرتُ إليها وإذ بطائرٍ أدهشتني تفاصيلهُ، طائرٍ محجّل، هرولتُ نحوهُ مسرعةً حينما رأيتهُ عالقاً بنيرانِ الشّعلةِ لعلِّ أنقذه، أقتربتُ منهُ ودونَ وعيٍ منّي بتُّ أخاطبهُ: ماذا أتى بكَ إلى هنا؟
هل سئمتَ الوحدةَ مثلي؟
أطلقتُ تنهيدةً وأكملت: ما بكَ لا تحدّقُ بي هكذا ليتني أحلّقُ في سماءِ الحياةِ صانعةً أنجحةً كأجنحتكَ هذه.
تصنّمتُ مكاني من هولِ أنّهُ يخاطبني، حيثُ ما ثارَ انتباهي كلماتهُ حينَ قال وهو يشيرُ إلى قلبي: أتعلمينَ أنَّ يوماً ما كلُّ ما يقبعُ في قلبكِ المغطّى بينَ ضلوعكِ سيخرجُ لينرَ بصيرتكِ، دعيني أخبركِ بأمرٍ تجهلينهُ: اليومُ وغداً وبعدَ الغد وفي كلِّ لحظة من الوقت، بنورِ قلبكِ سوفَ تزالُ العثراتُ من طريقكِ كما تذيبُ النّيرانُ صلابةَ الشّمعة، لا تستسلمي كوني لنفسكِ

الجنديَّ المجنّد، وأحترثي طريقكُ لتبصري غايتُكِ المجهولة، وتكونِ بعزيمتكِ الفتاةَ الّتي تقتلُ الصّمتَ، وتكونُ بصلابتها الصّوتَ المسموعَ لكلِّ أصمٍّ لا يسمع.
كلماتهُ هذهِ أحيت فؤادي كأنّهُ كانَ يقبعُ داخلي، عالماً بحيرتي، حيثُ كانتِ الضّحيّةُ روحهُ في سبيلِ توضيحهِ لغايتي، كأنّهُ رسالةً من السّماء، ابتسمتُ وهمستُ معاهدةً ذاكَ الطائرُ
المفحّم: سوفَ أُحيي روحي وأبني نهايةَ طريقي من كلِّ ظلامِ حاولَ مراراً سلبي لأعماقه.

*****

" مدثري "

بينَ طيّاتِ الحياة، وروتينها المتسلسل، أنغامها الّتي تعزفُ شتّى أنواعِ الإيقاع، هناكَ بينَ زوايا التفاصيل، خيالٌ مشتحجرشُ في أعماقي لا تراهُ العينُ، لكن شتّانَ ما يبصرهُ القلبْ في لحظاتٍ نودُّ وجودَ كائنٍ بشريٍّ يحتاطنا بعيداً عن مقاصدٍ وغاياتٍ تدركْ، مؤنسُ الوحدة، ورفيقُ الجوف، وصندوقُ بوحِ الأسرار، ألا وقد وصفتكَ بنورِ دربي، ها وقد أراكَ مثلَ ظلّي، ودائماً ما يجولُ بخاطري من أنت؟
من أينَ أتيتَ بهيئتكَ تلك؟
لا أنت ملاكٌ ولا بشرٌ أبصرك، بشعركَ السّبلِ المفتون، ونورِ عينيكَ في سوادِ اللّيل تضيءُ عتمتي، أراكَ تارةً إنسانٌ يحرسني في خلوتي، وتارةً أخرى تبصركَ عيني نجماً في سماء دنياي، المجعُ بيننا في كلِّ لحظةٍ وبينَ ثانيةٍ وأخرى، أتذكرُ تلكَ التفاصيلُ الّتي أحادثكَ بها كلَّ ليلة، أم دمعُ عيني الّذي تزيلهُ بأمانك، أم تتخيّلُ ماذا تفعلُ بي في حضرتك، تلامسكَ أناملي فتسيرُ في أوردتي كطاقةٍ تنتزعُ كلَّ يأسٍ عالقٍ بينَ ثناياي، وتجعلُ من قلبي نجمةً محلّقةً في سماءِ النّعيم، الجميعُ يتسألُ من أينَ آتي بلكَ الإبتسامةُ الّتي دماً ما تزيّنُ ثغري في عزِّ البؤوس؟

في طيلةِ سنواتٍ مضتْ أخاطبُ نفسي فأقول: لن أخبرَ بكَ أحد، ستبقى سرّاً في أعماقي قلبي، وستبقى ذاكَ المدثّرُ الّذي يزيلُ بعظمتهِ رعشةَ أوصالي ويكونُ لي الحصنَ الحصين، لكن دعني أخبرَ الوحودَ وأصرّحُ بكَ فخراً بعظمتك، يا من أسميتكَ مدثّري،
لنْ تدومَ تلكَ الحيرةُ الّتي تجولُ ببالكم طويلاً، فمدثّري هو(قرآني)، أماني، مسكني الّذي بينَ حروفهِ وجدتُ ضالّتي، وكانَ بإسمهِ قوّتي، ليسَ ذالكَ فحسب، فلن تفرّقَ بيننا الدنيا إلّا وكانَ ملاذي ونجاتي وفوزي بحياةٍ لا نجاةَ منها ألّا معهُ ومنهُ وفيه..

*****

/ ما لا تراهُ العين /

بينَ الدّقيقةُ والدّقيقة، ثانيةٌ فيها الجفونُ من العجزِ مستفيقة، ليلةٌ عميقة، وهدوءٌ كهدوء الشّوارعِ العتيقة.
أخذتُ كوبَ قهوتي، الّذي يستجيبُ لخيري ومعضلتي، جلستُ خلسةً في شرفتي، أطلقتُ العنان لأنفاسي بأن تمتزجَ مع عطرِ الياسمين، لحظةُ إغلاقِ جفوني مستمتعةً بالنّسيم العليل، وإذ بهمساتٍ تراودت على مسمعي من الأفق، ضيّقتُ عينيّ في حيرةٍ من أمري همسٌ غريب!! ما هذا؟
يزدادُ رويداً رويداً حدّقتُ عالياً لعلّي أجيدُ مصدرهُ، ليتني لم أصغي، تصنّمتُ مكاني، جفلت أوصالي، وبدأتُ أهزي بيني وبينَ نفسي: أهذا القمر؟!
يا إلهي ومن يخاطبُ! نجمةً!
يالَ العجب، وضعتُ ما كنتُ أحملُ في عجلةٍ من أمري، لكي أستمعُ لما يدور بينهما لعلَّ ذلكَ يزيلُ صدمتي، بخوفتٍ نطقَ القمرَ بحروفٍ بعثرتني وهو يخاطبُ النّجمة بسخريةٍ قائلاً:
أرأيتِ حالُ الإنسان؟
كلّ يومٍ ينتظرنَ المساء بعتمتهِ لكي ينعمونَ بهدوءٍ يفجّرُ الذّكرياتِ متبعثرةً أشلاءاً لا ترى، هم من الدّماء تجري في شرايينيهم، ينطقونَ وينعمونَ بحياةٍ رغدًا.

قالتِ النّجمةُ في سخط: نعم رأيت، ومن غفلتهم ينتظرونَ قدومنا لنؤنسَ وحدتهم، هههههه، عجيبٌ أمرهم، لا يعلمونَ أنّنا نضيئُ عتمتهم من نارٍ أوقدت داخلنا، نحنُ من ننيرُ ولا عُلمَ مصدراً لنا سوى الحجارة.

القمرُ تدلَّى بعدَ زفرةٍ تدلّ على كميّةِ عجزه: يالَ جشعهم يعلمونَ كلَّ هذا وهم من يتّصفُونَ بقسوةِ القلوب، ويوقنونَ أنّ خالقنا واحد ربٌّ معبودٌ لا شريكَ له.

واختفيا معاً عقبَ آخرِ حروفٍ صدرتْ من أعماقهما، بتُّ أتقلّبُ هنا وهناكَ باحثةً بمقلتيَّ عنهما، وإذ بي أصحَ من نومي وأنا أجولُ سريري وجسدي يتصبّبُ عرقاً من عحبِ ما رأيت، وضعتُ يديَّ على عنقي أدلّكها لعلَّ الجفاء الّذي اكتساها يختفي، وقلتُ بهلعٍ مناجيةً اللّه: ربّي لا تقبضُ روحي قبلَ ثباتي على إيمانكَ أشدّ الثّبات.

ما لا تراهُ العين، وما لا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على بالِ بشر.

عن عظيمِ خلقِ اللّهِ أتحدّث.

*****

/شعاع بريق الأمل /

في جوفِ اللّيل شمعة
في مبتغاها سحرٌ ولمعة
فهل يذابُ كهلَ قلبٍ؟
كما بنارِ خيطٍ تذابُ شمعة
عتمةٌ في ظلامِ ليلٍ
اضمحلَّ بسطوعِ نور شمعة
أيا قلباً لا تخافُ سواداً كاحلاً
أيا مقلتيَّ كفاكِ عن زرفِ دمعة
فكما أن نورَ شمعةٍ أزالَ العتمَ
فنور اللّه أزال حتّى ضياء شمعة

*****

/ رونقُ الطبيعة /

أيا خالقَ الكونِ بكلّ رحيقهِ
وأبدعَ في الهوا منظراً متألّقاً
فهل؟ تعجز عن محيا القلب وصفوهِ
فواللّه لا وأنت من جعل الشّمس أن تشرقاً

في عالم من المناظرِ الطبيعيّةِ الخلابة ..تتألّفُ مرونة وحلاوة الرّوح وظهور نور الأملِ مع غروب الشمس ..
انظر لنفسك من جديد مع منظر اقرب لبصيرتكَ قبل بصرك ونقاءِ الماء بعبيرِ عطر الحياة واستنشق وتمتّع ودع كلّ شيء يتخلّد داخلك لزوال بقاع اليأس والإحباط.
فمن جمل الحياة بأجمل الصّور لا يعجزه احياء كلّ ما قد تلف.
وابحث بنفسك عن كلّ ما هو جميل واستنشق رحيقهُ وأجعل لنفسك رونقها الخاص.

*****

/نفحاتُ العبور/

حملتُ قلبي على كفِّيَّ والرُّوحُ تغرِّدُ
سرتُ والدّربُ من وسعهِ ملأَ البصر

مقلتيَّ تبحثُ بينَ الطّرقاتِ عن مرشدٍ
وإذْ بنورٍ من السّماءِ يزيَّنَ المنحدر

لمعَ قلبي ببريقِ الأملِ معلناً السّرور
والخطى بسّعادةٍ أسرعتْ في العبور

كيفَ لا أسعدُ؟ وقلبي مفعمٌ بالنّور
قلبٌ زادَ تألّقاً حينَ غدا لربٍّ المعمور

أطلقتُ العنانَ محلِّقةً مضيئةً كاليراعين
وفي الجوفِ عطرٌ فاحَ كعطرِ الياسمين

غدوتُ مسرعةً كفراشةٍ تملكُ الظَّلالين
تقفُ هنا وهناكَ تقتنصُ جمالاً كالعرين

أبصرتُ غايتي علمتُ إلى أين وجهتي
اقتربتُ منهُ والفرحُ غزى قلبي ومهجتي

غمرتني سعادةُ الوصول نشوةُ التّخطي
لخظةً زالتْ عنائي والأملُ كسى مرهفي

كيفَ لا أصلُ؟ كيفَ لا أغدُ بشغفٍ؟
وبيقينٍ ألقيتُ ما بقلبي على عاتقِ خالقي

هذا هو اللّهُ ربّي، كيف لا أعبدهُ؟
وهو من ينيرُ الدَّربَ وبعظمتهِ هو جابري

*****

/جمال الخطى /

خطوةُ والأجلُ مجهولٌ مغيب
وخافقي معلّقٌ باللّه الحسيب
في الخطى أبصرةُ معضلةً
سعيتُ ويقيني بربٍّ مجيب
فواللّه لم تدم عتمةُ ليلٍ
وفي السّماء الجبّار المستجيب

خطيتُ وفي الخطى أدركتُ غايتي، وبسعيي ودعمِ أحبّةٍ تسّلقتُ سلّمَ الوصال.

*****

" ثقتي ومسقطي "

إلى نفسٍ تهوى توهّجَ الشّمس لا تسرفي في النّظرِ إليها ستحرقكِ، إلى كلِّ من رأى روحهُ هائمةً في سماء الكبرياء فاحذر نيازكَ اللّيل بشدّتها وغفلتكَ تنسفكِ فترمي بكِ إلى بقاعِ الأرضِ متشّمةً مزمجرة.

إلى كلّ واثقٍ فنفسهِ فلتعلم أنّ في واو الوثوقِ وديانَ فاحذرها، وفي ألفها أجلاً مجهولاً فاحترثهُ بأعينٍ ثاقبةً تخشى الهلاك، ألا وبداخلِ ثائها ثغراتٌ تدميكَ فكنَ بنورِ قلبكَ مبصراً لها وبفطنتكَ تبني جسرَ العبور، ونهايةُ ثقتكَ قافٌ يكمنُ فيها قوقاعةٌ وقاعٌ بغرورِكَ ستقعُ ناكسُ الرّأسِ محطّمُ الخطى.

ندائي أليكِ يا ثقتي: أن تحسنِ استخدامَ زخيرتكِ، ولا تحملقي عالياً وتسيري جاهلةً عقبةَ الوصول فتقعِ وتكوني بغفلتكِ الهالكَ المهلك

*****

/ هدوء اللّيل /

مازلتُ في جوف الليلِ أروي قصّةً
تأخذُ من روحي أهاتٍ وأدمعُ
فأعطيها من قلبي الأسيرُ رقّةً
فتصبحُ الدّواءُ لمن بالنّارِ يتلوّعُ
لا أدري لعلّها تحملُ ألامي بخفّةٍ
وتقولُ: هيّا لتهدأَ فلم يبقى ما يكبّلُ
وتضفي على كياني من نورِكَ رحمةً
تجعلُ مابهِ يقولُ: هيّا لنرحلُ
هدوءاً يسكنُ برفقٍ زوايا أضلعي
فيجعلُ ما بداخلي بروعتهِ يتجمّلُ
أيا روعةَ ليلِ وجمالِ حضورهِ
كن لقلبي الرّاحةَ ومن جديدٍ يتأصّلُ
فما بعد كلّ ليلةٍ شمساً مشرقة
بنورها تضيءُ الكونَ بسطوعها المشتعلُ

*****

/ رواياتُ ليلٍ /

أيا ليلي مازلتُ في عتماكَ غائبةٌ
مازلتُ بين جفونكَ أرى مسكني
أيا من ترى ما بداخلي دونَ تكلّفٍ
وتنسجُ من قلبي كلماتٍ وأسطري
متى يا ليلُ سيأتي القمرُ عندَ تمامهِ
فيؤنسني وينيرُ بحلولهِ المقلي
فيلغي بنورهِ عتمةَ ليلٍ حالكٍ
ويجعلُ من ضيائهِ زوالَ معضلي

جمالُ اللّيل بهدوئهِ، جمالُ القمرِ بحلولهِ، جمالُ النّورِ بربٍّ هو خالقهِ.

*****

/ كبرياء أنثى /

بوسعي أن أقولْ إكتفاءُ الذّاتِ بالذّات.
وكما قيل أيضاً "يتمنّعنَ بشدّة وهنَّ الراغباتْ"
من تحملُ في قلبها ألفاً من المشاعرِ دونَ تنسيق، من تأبَ دائماً أنْ تظهرَ ما بروحها للعلن، من تسطّرُ بينَ بسمتها حزناً أقسمُ أنّه إذا انتشرَ كفيلاً بزعزعتِ جبالٍ شاهقة، كبريائها قاسٍ لقلبها حدِّ السّماء.
دائماً ما تتمنّى وتحلمُ، تحبُّ وتتخيّل، ترغبُ وتخطُّ أمالها في عالمٍ يخصّها هي فقط.
تدّعي المقاومة وهي تُخدشُ معَ كلِّ كلمةٍ و ربّما حرفٍ يكونُ كنصلِ خنجرٍ يفتّتُ قلبها لجزيئاتٍ يتشرّبُ منها من يريد مقابلَ امتصاصِ شغفها، ونورٍ لحياةٍ ورديّةٍ ادركتْ مؤخراً أنّها طوقُ غرقها، وكلَّ ذلك تدفنهُ تحت غلافٍ الكبرياء الّذي لم يزيدها إلّا بريقاً ينبعُ من روحِ الأنثى داخلها.
و الأنثى هي الإنسُ الّذي يزيّنُ الحياة حينَ الضجرْ،.
وهي رباطٌ لكلِّ شتاتِ يسكنُ الرّوحَ فيعيدُ توازنهُ.

*****

/ جنّةُ الحياة /

ألقي خمارَكِ والعيونُ تغرّدُ
فيكونُ السّر في الحياءِ تورّدا
من كانَ يريدُ منكِ خصالاً مزهراً
فليبحثْ بينَ النّجومِ سيرى البهاءَ ولو غداً
هذهِ الأخلاقَ وهذهِ الحسناءَ مفاتنها
فهي جنّةَ من دخلَ بينَ ضلوعها متوعّداً
ليسَت أنوثتها من تكونُ للحياة الهدى
فدينها والأخلاقُ وإخلاصها المقصدَ
فهي وصيّةُ خيرِ الورى محمّداً
واظفر بذاتِ الدّين تربتِ اليدَ
فصلاتي وكلُّ سلامي على خيرِ المقتدى
الّذي بخيرهِ وجمالِ أخلاقهِ عمّ الهدى

" أعلا وأعظمُ مراتبَ الجمالِ جمالُ الأخلاقِ ونقاءِ الرّوح "

*****

/ مكبّلُ الجناحْ /

عندما نكون محلّقينَ في الآفاقِ كطيورٍ تصنعُ سعادتها من بريقِ الحياةْ، ونصبحُ مكبّلينَ داخلَ قضبانٍ تحطّمُ سعينا، تقتلُ أحلاماً أوّلَ ظهورها، تشلُّ حركتنا، كلّما أردنا الفرارَ تقصقصُ أجنحتنا، تستنزفُ كلّ طاقتنا للإستمرارْ، نكونُ قيدَ ما يظنّونَ أنّها عاداتٌ وتقاليد، لكن ما هي إلا أحكاماً تجعلنا موضعَ هامشٍ لا مكانْ لنا بينَ سطورِ الحياة .
آباءٌ يحطّمونَ ذاتنا، ويقضونَ على جدرانِ إشراقنا، ويظلمونَ سبلَ سعينا.
وأمّهاتٌ تحكسحُ أرواحنا، وتجعلُ قلوبنا عراةً لا دفئَ لها، لا آمانَ ولا احتواء، تكونُ موضعً نهشٍ لكلِّ من أرادَ العبثَ بها، ولكن هذا ما يسمّى السّلطةُ والحمايةُ بنظرهم ولا يدرونَ أنّهم يرتّبونَ لعزائنا ونحنُ على قيدِ الحياة .
سجناءٌ لتخاريفَ تحتَ حكمِ الإستبداد

*****

/ الحصنُ المتين /

مساءاً حيثُ منتصفِ اللّيل، دخلتُ منزلي حيثُ تكمنُ فيهِ راحتي، الهدوء يعمُّ المكان، في البدايةِ استغربتُ الأمر، لكن سرعانَ ما عدتُ لرشدي حيثُ عودتي في وقتٍ متأخِرٍ، الجميعُ فيهِ خالداً في النّوم، خطوتُ بأطرافِ أصابعي بحذرٍ شديد، فاستوقفني صوتُ ابنتي الصغيرةَ من خلفي تناديني، وهي تفركُ مقلتيها أثرَ النّوم: أبي، لماذا عدتَ متأخّراً هكذا؟
كادتِ الحروفُ تخرجُ لأُجيبها، لفتَ انتباهي تلكَ العبراتُ العالقةُ على وجنتيها دليلُ البكاء، أسرعتُ الخطى، جسوتُ على ركبتيَّ لأصلَ إلى مسواها، حاوطتُ وجهها بكلتا يديّ، وبأناملي زلتُ أثارَ الدّموع، قلتُ والعبوثُ كسى ملامحي: ما بكِ صغيرتي؟
من أبكاكِ بنيّتي؟
الفتاة: كنتُ ألعبُ مع أخي صباحاً، جاءَ أحد أبناءِ الجيران منعني من اللّعبِ معهم، و، ودفعني سقطتُ فتألّمتْ قدميّ، ومزّقت دميتي.
الأب: صغيرتي، حبيبةَ أباكِ المدلّلة، لا تحزني سوفَ أذهبُ صباحاً أنا وأنتِ واختارِ أجملَ دميةَ، لكن لا تبكي بنيّتي.

الفتاةُ في سعادةٍ حيثُ ابتسامةٌ زيّنتْ ثغرها: ح، حقّاً يا أبي، ستجلبُ لي لعبةً أجملَ من تلكَ التّي مزّقتْ.
الأب، والفرحةُ تغمرُ قلبهُ لسعادةِ ابتهِ: نعم حبيبتي، سأجلبُ لكِ الأجمل ولكن، أكملَ وهو يدغدغُ خديّها: لا أجملَ ولا أحلا من طفلتي.
الفتاة ركضتْ مسرعةً وارتمتْ في حضنِ أبيها: أحبّكَ كثيراً يا أبي.
الأب: وأنا أحبّكِ عزيزتي، وحيدةَ قلبي.
نهضَ الأب واحتضنَ كفَّ ابنتهِ الصغيرة، وقال لها: هيّا سريعاً فلنذهبْ إلى النّوم، وإلّا استقيظتْ والدتُكٌ ووبّختنا.
ضحكا هما الاثنين وذهبا إلى حيثُ يكمنُ الأمانَ، إلى حيثُ تجيدُ ضحكتكَ بصدقٍ وحبٍّ لا يضاهيهِ شيء، جسرُ العبورِ إلى يومِ الخلود.
الأب: هو الأمانُ بعد كلِّ هلع، الحبُّ من بينِ جميعِ صفاتِ الكره، هو اليد الّتي إذا امسكتَها فاعلم أنّكَ نجوتْ، في المختصر هو الحصنُ المتينُ لكلِّ فتاة.

*****

/ روحٌ من الرّوح /

أبي، كيفَ لي أن أرى الحزنَ على عينيهِ مطوّقاً؟
كيفَ لي أن أصبرَ يوماً على بعداه؟
أخشى واللّهِ وما أخشى غيرَ فقده،
كيفَ للقلبِ أن يستكينَ من غيرِ من كانَ محياه؟
يا روعةُ وجودُ تفاصيلكَ بين محياي، يا جمالُ بهجتكَ بينَ دمي ومقلتاي، أبي أنتَ يا ظلّي يا من لا أخشى الدّنيا في حضرتكَ، يا أعظمُ حبٍّ سكنَ قلبي بكلِّ تفاصيلهِ.

*****

/ نفحاتُ الطّفولة /

طفولةٌ مزينة بالعطفِ والحنان
نحلمُ ونرسم كلّ آمالنا على الجدران
نحبُّ الحياة بأبسطِ مظهرٍ
ونعشقُ الياسمينَ وعطرُ الزّهر والرّيحان

نقفزُ ونلعبُ ونتسامر بكلّ حيويّةٍ
حتّى يعلو صوتنا كلّ أنحاء المكان
لم يكنْ يوجد بأعيننا فرصةً لحزن
وكلّ ما يدورُ حولنا هو الحبّ والأمان

نضحكُ ويعلو وجهنا أجملُ البسمات
وبقلوبنا نعطي لحياتنا أجمل الألحان
حتّى بدأنا نسيرُ ونكبر بسرعة
في دنيا يملؤها كلّ معانِ الأحزان

لم نعدْ نعلمُ ما قد جرى
وبدأَ يحتاطنا الألم والعنان من كلّ مكان

وذهبت مواقفُ وأحلامٌ وآمالٌ
ولم يعد يخطرُ ببالنا إلّا الزهد والنّسيان

ها هنا نحن نسير بكلّ أملٍ
ولكن نخافُ من هولِ أنّهُ قد فاتَ الأوان
فيا ترى إلى أين سيمضي بنا الزّمان؟
وهل سيأتي يوماً ويعود كلّ شيءٍ كما كان

بات كلّ ما يحدث منهكاً لنا
ولكن يكفي أنّ أمرنا بيدِ ربّ الأكوان
ما علينا إلّا أن نقفَ بقوّةٍ
وننظرَ إلى حياة الخلدِ والجنان

*****

" من مقلِ طفلِ صنعتُ شخصي "

في ذاتي ما لا يراهُ النّاس وفي نفسي صندوقاً أحتفظُ بهِ لحظاتِ نادرة أودُّ عيشها، لا هي حلمٌ ولا أمنية،
بل هي روحٌ تسكنُ روحي هكذا أراها.
الجميعُ من حولي يتساءلُ كيفَ سأكونُ مستقبلاً؟
وما هو مبتغاي؟
دعوني أقولُ لكم:
أرى نفسي أمّاً تحتضنُ أطفالها، ما ظنّكم أنَّ أمّي هذهِ الأخرفُ تكونُ أولى نطقِ الرّضيعِ فحسب،
بلْ في ألفِ أمّي إلفةً وأماناً، وأملاً مشرقاً لكلِّ ما هو جميل، والميم ليست سوى مودّةً وملجأً ومحيا لكلِّ قلبٍ صدئٍ تلف، وهي مسكنٌ ومفتاحٌ لكنزٍ من العطاء،
وفي الياء ما يثبتهُ القلبُ ويصرّحُ بهِ العقل، أنّها ياءُ يمنٍ وياقوت مدفونٌ في خلدها،
تنثرً منهُ عبيرٌ من الياسمينِ ليميّزها عن غيرها من ثائرِ البشر.
فهذهِ هي شخصي الّتي مازلتُ أراها كلّما نظرتُ في أعينِ طفلٍ، وشوقٌ داخلي على حملي طفلي بأحشائي ومن ثمَّ كلتا يديَّ،

وأجعلُ من قلبي جسراً منيعاً لوصلهِ لقمّةٍ تميّيرهُ عن غيرهِ بخُلُقِهِ لا خَلْقه، وبقلبهِ لا مظهره،
وأنسجُ داخلهُ جوهرَ الحياة.
فهلْ هناكَ أعظمُ من حلمٍ أكن بهِ سيّدةَ الوِقارِ حيّةً، وملكةً على الجنّةٍ بعدَ المماتِ ويومَ الخلود؟.

*****

/ قطعةٌ منَ الفؤاد /

حياةٌ ما أخذَ منها اليومْ لا بدّا غداً أنْ يعطى كورثٍ يقسّمُ على الأبناءِ بالتساوي
وزرعُ اليومِ فيها سيكونُ حصادُ الغدْ
وبعدَ كلِّ خريفٍ عصفتْ رياحهُ أغصانَ الشّجر سيأتي الرّبيعُ ونرى بهِ جمالَ ما قدْ صنعَ وابتكرْ
توالتْ الأيّامُ واللّيالي تبعها شهورٌ وأعوام، وفي كلِّ مقتطفٍ نقشتْ مخيّلتي كلماتٍ زادتْ منْ وعي ذاتي تواكباً مع زيادةِ ظلامِ الحياة الّتي لنْ يكونَ نورها إلّا لمنْ استطاعَ إبصارها
وها أنا اليوم أوجّه أعظمَ رسالةٍ خطّت بماءِ الذّهب لمن هم فلذةُ كبدي، لمن أبصرهم بروحي قبل عيناي، لمن هم من الآن أسمى حلمٍ وأمنية وأجملُ إيقاعٍ أتفنّنُ بصنعهِ داخلي، و بدماءِ قلبي سوف أشيّدُ مجدكم، وأجعلهُ يحلّقُ نحو السّماء، وأكونُ لكم كالسّقيا لزهورٍ تتلهّفُ لأن تتشرّبَ ما يجعلهاا تتفتّحُ للحياة، حيالَ ذلك أوحي لكم أنَّ الحياةَ صفحةٌ بيضاء ستنسجوا على سطورها روايةً لم تكونوا إلّا أبطالها، فما يقعُ على عاتقكم هو إختيارِ تفاصيلها بإحكام، واعلموا أنَّ رقيِّ النّفسِ أخلاقها، و أنَّ زهرةَ الرّوحِ نجاحها، و أخيراً و ليسَ آخراً فضعوا أمامَ أعينكم أنَّ صعودُ القّمة هو إكتفاءُ الذّاتِ بالذاتْ، وأنّ ما ستقترفهُ بحقِّ

نفسكَ جاهلاً العاقبة لن يكونَ سوى دمارها و إختفاءِ بريقها و لمعةَ إشراقها

أحبّتي يسعدني أن أقولَ لكم أنّ الظّلام ستبصرهُ قلوبكم، و سيكونُ نورهُ عقولكم، و ما سيزيلُ عثراتِ الطّريقِ أفعالكم، وسيزّينُ ممشاكم ما ألقيتموهُ وراءَ ظهوركم فاحذروا بقاءَ الخيباتْ فلم تكنْ إلّا فناءٌ للعمر دونَ حسبان، وكونوا لأنفسكم ما سترسمهُ أناملكم، و أجعلوا شعارهُ قلبٌ على اللّهِ توكّل فارتقى، ومن أبصرَ إيمانهُ زادَ تقى، و منْ أحسنَ إليهِ فسوفَ يكونُ لهُ نورُ الأنامِ و خيرُ الملتقى

و أختتمُ رسالتي بأنّني سأكونُ لكم الجّسر الّذي سيوصلكم عبورهُ إلى برِّ الآمان، و باحتوائي لكم سترونَ أمّاً بقلبها مسكنكم وجفنونها ستائركم، أحبكم بكلِّ ذرّةٍ تتلهّفُ لرأياكم.

*****

/ نجومٌ على هيئةِ بشر /

بينَ مقتطفاتِ الحياة وما أثنتهُ على أرواحنا من روابطٍ شتّى، منها ما قد يشرقُ كالشّمس الذّاهبة في عتمةِ اللّيل شمساً إن زدنا إبصارنا لها اضمحلّت أعيننا، وذهبَ بريقها كهؤلاء هم من صرخت بهم أرواحنا فأسمتهم أصدقاء،
ومع انتهاءمصلحتهم ذهبوا، ذابوا كذوبانِ الملحِ في كوبِ ماء، إستنذفوا مكانةً ليسوا بأهلٍ لها هؤلاء من كانوا أصدقاء الأمس وهم اليوم غرباء،
نودُّ لو أنّنا لم نلتقي بهم قط وليتَ مقلتينا لم ترى أشباههم، من بينِ ألوفٍ من أصنافِ البشر الوحيدونَ من يمتلكون الفؤاد هم من إذا نظرنا. بسوادِ عيونهم نرى أنفسنا،
وبجمالِ قلوبهم نهيمُ بنقائهم دونَ تكلّف، من إذا ابصروا عيوبنا أدلوا السّتائرَ عليها ليحجبوها عن مرء النِاظرين،
يشكّلونَ مرآةٍ بصفائها نرى أوصافنا ورونقها، هؤلاءمن نقولُ فيهم وقلوبنا تتراقصُ على أوتارِ المحبّة إنّهم الأصدقاء مثالُ الوفاء، نورُ القلوبِ بصفوهم وبإخلاصهم نشيّدُ جسراً متيناً على بحرٍ من العثرات، نسيرُ ولا نخشى الغوصَ في أعماقهِ،
بصحبتهم ومتانةِ روابطهم نبصرُ نهايةً بتشجيعهم ودعمهم ما نظنُّ أنفسنا سوى أنّنا أبطالها،

فهم من نقولُ فيهم: إخوةٌ لم تنجبهم أمّهاتنا، فخيرُ اختيار الصّديق جسّدَ بما صرّحت لا بمن حزّرَ منهم فقيلَ: إذا صاحبتَ فلا تصاحب جاحداً ينسى الوداد وينكر الكرماء.

*****

/ هواجسٌ ما بينَ الجّشعِ والاعتذار /

في مزايا الحياةِ، وبينَ رحابِها ما كيذهلُ العيون، أخٌ ينتزعُ جيدَ أخيهِ كمن يتشرَّبُ دماً من روحهِ يمتصُّهُ كمدميٍّ متعطِّشٍ، لا يأبهْ بالأمرِ سوءٍ، لا ضميرَ ولا وجدانَ، كمن انتزعَ روحهُ ووضعَ عوضها حجراً صوَّان.

إلى كلِّ متعجرفٍ لا يبالِ بما يصنع، اعلم أنَّ نهايةَ الطّريقِ هو ما صنعتهُ نفسكَ في بدايتهِ، فاحذرِ الغوصَ في أعماقِ السّوادِ لكي لا تغرقْ فيها كالغائصِ في سيولِ الرّمالِ الّتي لا خروجَ منها.

وضعْ في قلبكَ نقشاً أنَّ الأخَ كالمصباحِ المنيرِ في الطّريقِ إذا قمت بامتصاصِ زيتِهِ أُعتِمتْ بصيرتكَ كالكفيفِ لا يبصرْ مساره.

وفي نهايةِ رسالتي أقول: أن تصلَ متأخّراً خيراً من ألّا تصل، عد إلى رشدكَ قبلَ فواتِ الأوان، واعلم أنَّ هناكَ لحظةً لا ينفعُ فيها مالُ ولا وصب ولا اعتذارٌ يحتسب، وتدبّر معنى الأية الّتي قالها اللّه في كتابهِ الكريمِ [واشدد عضدكَ بأخيك] فالأخ كنزٌ لا يعوّضهُ مالُ الدّنيا بأكملها.

*****

/ فلذةُ الكبد /

ضوضاءٌ وضجيجٌ من كلِّ مكان أصواتٌ من وهلتها تثقبُ الأذان، صراخٌ، استغاثةٌ، صدى إنسان، أنينٌ ونحيبٌ من أطفالٍ تحتَ الرّكام، أمٌّ تبحثُ عن رضيعها بينَ صخورٍ وبقايا لأعضاء إنسان، بينَ جثثٍ ثارتْ منها رائحةُ إنتان، وهي ترى بعينيها محتلٌّ يقتلُ كوحشٍ كاسرٍ يلقي بقنّاصتهِ على كلِّ ما يراهُ من أشباهِ الأبدان.
أينَ أنتم يا رعاةَ الأمّة؟ ألا ترونَ هيئةَ طفلٍ متهشّمٍ صدحَ من جسدهِ دمٌ يُقذفُ كنافورةِ ماءٍ يرتوي منها كلّ ظمآن؟
أم إنّكم غافلونَ عن أحشاءِ رضيعٍ تناثرت فأصبحتْ غذاءَ الطّيرِ الضئيلِ الّذي يحلّقُ في السّماءِ من غيرِ جنحان؟
فهلْ حدثَ أن رويَ على مسمعكم العجب؟
طيرٌ يطيرُ هارباً منقذاً نفسهُ من كيدِ بشرٍ متوغّلٍ متعطشٍ لامتصاصِ دماءِ الخلّان، وإذ به توقّفَ عجباً ممّا قد سمع فسارَ مستشعراً صوتَ المستغيث وإذ بهِ تصنَّمَ ممّا قد رأى، طفلاً يإنُّ ويسعى مرغماً لحملِ صخرةٍ سقطتْ على كبدهِ!!، وسائلٌ أحمرُ ممزوجٌ بفتات لحمٍ يغزو وجنتيهِ العينان، خرَّ الطيرُ باكياً بالقربِ من ذاكَ المستنجد وبسيقانهِ حاولَ حملَ أوزارهِ في عجزٍ من أمره، وصرخَ بقلبٍ مدميٍّ لما أبصرَ بأمِّ مقلتيه:

سأنقذك، سوفَ تحيا لا تستسلم، فورَ سماعِ الطّفلِ لمناشدةِ الطّير ابتسمَ مطّولّا ونطقَ بوهلةٍ ذاكَ الّذي ما من أسنانٍ لبنيّةٍ تزيّنُ فمه، حيثُ قالَ في عجلةٍ من أمره: أنا بخيرٍ لا تحزن ما من شيءٍ قد حدثَ سوى أنّها قد بترت قدميّ، وتمّ استأصالُ كبدي، وكفافُ مقلتيَّ الّتي لا أبصركَ بها ولا أعلمُ من أنت؟ ما من مكروهٍ قد أصابني سوى اقصاصُ روحي، لحظتها وقعَ الطّيرُ طريحَ نفسه، وفارقتْ روحهُ الحياة، وذهبَ إلى حيثُ يكملُ حديثهُ مع ذاكَ الرّضيعَ الّذي أصبحَ مماثلاً لهُ في الجنّة.
عن طفل ورضيعٍ عزةَ أتحدّث، حيثُ أناديكمُ يا أمّةَ العرب، وأناشدُ قلوبكمْ الميّتَة، وما من مجيب.
كما قيلَ حيثُ حروفاً توصفُ حالكم:

" أسمعتَ إذ ناديتَ حيّاً
ولكن لا حياة لمن تنادي
ومازلتُ أنفخُ في النّارِ حتّى أضاءت
ولكن كمن ينفخُ في الرّمادي "

*****

/ غزّةَ العزّة /

بينَ شفقٍ وبزوغِ شمسٍ مشرقة
في دجى ليلٍ أنتِ يا غزّةَ القمرَ المضاء
في ربوعِ أرضٍ وبينَ رحابها
خصوبةُ أرضكِ بشهادئها كتبَ البهاء
الغينُ فيكِ غميةُ صفوٍ ودٍّ
والزّايُ زبدٌ خالصٌ منهُ أخذَ معنى العطاء
وفي تاؤكِ تحيا الكرامةَ بعزّها
وتبني مجدَ الحياةِ رافعةً رايةَ النّضلاء
لا محتلَّ يدنِّسُ رحابَ قدسكِ
ولا يهوديٍّ بجشعهِ يقطعَ شرفَ النّبلاء
في كلِّ ركنٍ فيكِ يرفعُ اسمُ اللّه ممجّداً
وتصنعُ رايةَ الإسلام لتصلَ حدَّ السّماء
فخري بكِ يا غزّةَ مشرقاً منعّما
وحبرُ ريشتي أُخِذَ من دماءِ الشّهداء

*****

/ بينَ النّسيمِ والحر /

من نفحاتِ أغسطس، من بينِ طيّاتهِ صنعَ الإشراق، فهلْ فيهِ يكونُ القمرُ بدراً؟ أم محاق؟

ففيهِ أخذَ الحكم لنهايةِ فصلٍ وبداية فصلٍ أخر، فإمّا سيزيدُ من إطلالتهِ النَّسيمُ، أم سيكونُ مصيرهُ الحر، تهيّء، تصنيفٌ واستثناء، فلا طالما تمنّينا أن يكونَ ختامُ العناء.

في آبٍ، آمالٌ وإيمانٌ بكلِّ تغيير، فما بعدهُ سيكونُ الفصل العسير، إمّا سقوطاً يتلاشى في قاعِ الحظير، أم ثباتاً في استمرارِ المسير، أين النّظير؟

باءُ في ثناياها بوّابةُ للخروجِ بعدَ حكمِ المستشير، فإن فتحت صدحَ من جوفِ القلبِ صوتاً يستشعرُ العبور، لعلَّ ما يغادرهُ الخوفُ المكلّلُ المزعور، وإن تمّ إغلاقهُ لا مكانَ بعدها للنجاةِ من اشتعالِ كلّ بركانٍ مفجور.

أغسطس، المزاجُ المتقلّب، إن كان في حرّه فهو ملتهب، وإن حلَّ نسيمهُ استبدلَ الحالُ من عجب.

شهرٌ بينَ طيّاتهِ نسجَ جمال الطّرب.

*****

/ خلفَ الأثر /

في لحظةٍ من الإنتعاش، راودني سؤالٌ لا أعلمُ من أينَ أتى؟
ولماذا هذا السّؤال بالذّات؟
دائماً ما يدغدغُ داخلي، لما لم أكن شخصيّةً كرتونيّة؟
لو كنت شخصيّةً كرتونيّة من سأكون؟
لمعتْ عينيَّ بروح المغامرة كمن وجدَ ضالّته، نهضتُ من مكان جلوسي دليلُ الحماس، وقلتُ بعلوِّ صوتي، وجدّتها، " كونان " نعم سأكونُ ذاكَ الطّفل الخياليّ الّذي دائماً ما يسعى بكشفِ حقيقةِ الأشخاص، نزعِ جميع الشّرورِ من حوله، مساعداً كلَّ محتاج والأجمل أنّه غيرُ معروف، مجهولُ الشّخصية، مظهرهُ ذاكَ الطفل البريء الّذي دائماً ما يكون بحاجةً للعناية، وداخلهُ عالم عميق، أسطورة، محورٌ من الذّكاء، مزيجٌ من لوحةٍ فنيّة لا يضاهيها جمال، هكذا أودُّ أن أكون مغوارةً دائماً ما أنشرُ السّعادة، أقطعُ خصال الشّر، متنقّلةً هنا وهناكَ باحثةً عن ركنٍ أجدُ بهِ ضالّتي، مقنّعةً لا يعرفني ناظر، ولا تستطيعُ فهمي عقولُ البشر.

*****

/ رحمةٌ من ذاكَ الزّمن/

ماذا؟؟

ماذا لو كانَ قدري أنْ تكونَ نشأتي في عصرٍ قد تجلَّى فيهِ نورُ القمر؟

ماذا لو كانَ من عظيمِ شرفي في هذهِ الدّنيا أن ترى عينيَّ من بحسنِ خَلقهِ وجمالِ خُلقهِ صُنعَ نورً الحياة؟

في لحظةٍ شردتْ فيها مخيّلتي، وتراقصت أوتارُ قلبي، لمعَ بريقُ الحياةِ داخلَ سوادِ عينيّ، وبسمةً صادقةً احتلّتْ ثغري، شعورٌ انتابني وكأنّني قد بشّرتُ بالجنّة، آهٍ كمْ يشتاقُ القلبْ، والرّوحُ تتمنّي، والعيونُ تحلمُ، ألا ليتني ترعرعتُ في زمنٍ لمْ يستوعبْ عقلي بأنْ يفكّرَ بغيرهِ زمن، عصرٌ تلاشتْ بعدهُ العصور، مكانٌ أنسجُ من حبّهِ جنّةً في صحراءٍ قاحلة، بقاعُ أرضٍ شيَّدت مكّةَ فيها بجمالها بيتُ اللّهِ الحرامْ، مكانٌ منَ الرّحمةِ أسواره، وبالحبِّ والسّكينةِ محطاة، ومنهُ وفيهِ أعمدةُ الإسلامِ شقّتْ طريقها، ومن نورِ السّماءِ أخذتْ نهجها، ومنْ بشيرِ منَ اللّهِ نُشِرتْ خصالها، من بلينِ قلبهِ جعلَ الحياة نورٌ على نور، منِ اصطفاهُ اللّهُ وكرّمه، وبحسنِ الخَلْقِ والخُلقِ أنعمه، وببهائهِ وصفائهِ للنّاسِ نذيرًا أرسله،

ألا تعلمونَ بعد عن أيُّ العصورِ أتحدّث؟

ألا، وهل لا تدرونَ مِن جمالِ مَنْ نَسجتْ حروفي بريقها؟ بوسعي أنْ أقول وبكلِّ حبٍّ أتبجّلُ، وباشتياقي أرتّل، وبكلِّ فخرٍ بروعةِ انتسابي لأمّتهِ أشيّدُ وأصرّح: إنّهُ عصرُ نبيُّ الخلق، حبيبُ الحق، مَن بعظيمِ نهجهِ سكنَ الرّوح، وفي غيابهِ أمتلكَ القلب، وبالإقتداءِ باحكامهِ نسجَ لنا دروبًا فيها النّورُ والإيمان، حبيبي نبيّ شفيعي محمداً، هو الأحمدُ المحمودُ المصطفى صلاةُ اللّهِ وسلامهُ عليهِ، يا من بطيبِ قلبهِ ارتقى ومن بريقِ روحهِ أُخذَ التّقى; وهل تسألونني بجوارهِ كيفَ تكونُ حياتي؟ فواللّه لكنتُ قد نعمتُ وغرّدّتُ بالحبِّ والرّحمةِ في جمالِ قربه، من أتلهّفُ اشتياقًا لرؤيته، وأعدُّ لحظاتٍ ولحظاتٍ وصولاً لشفاعته، وشربةً من يديهِ تروي ظمأي وتُذهبُ بطيبها مشقَّتي، وفي جنّةِ الفردوسِ أرَ مسكني لأنّني وبكلِّ فخرٍ وشكرٍ للّهِ على عظيمِ نعمتهِ أقول: منهُ وإليهِ ولأمّتهِ أعودُ وأنتمي.

فداكَ أمّي وأبي فداكَ نفسي وروحي يا حبيبي يا رسولَ اللّه، صلاةُ اللّهِ وسلامهُ عليك..

*****

/ إليكَ أنتمي /

موطني، أيا وطني، يا منن إلى رحابكَ أعودُ وأنتمي، يا من صنعتَ من تراثكَ أمجادَ العصور، وفي عزيمةِ جندكَ شكّلت فخامةَ الجسور، أسودٌ نحنُ في كنفك، زئيرٌ جفلَ من صوتهِ كلَّ من أرادَ سلبها.
سوريةَ الموطنُ العربيُّ المغوار، ومن شجاعةُ فرسانكِ أخذنا أعظم انتصار، فمن رحيقكِ صنعَ الأمل، ومن دماء شهداؤكِ شيّدَ اسمكِ محفوراً في جيدنا، لا عجبَ من كونكِ بلدَ العزِّ، وفيكِ سيكونُ حكمُ الأزل، لا استسلامَ ولا إبادةَ لوصفكِ ولا مرتحل، يا مثال النّضال والأصالةَ والغزل، أنتِ للمحبِّ حبيبةً، ولأبناؤكِ أمّاً، ولمن قصدكِ موطناً، أنتِ وبكلِّ ما فيكِ وصالاً لكلِّ من أرادَ الوصولَ فإليكِ وصل.

*****

/ ما بين الأشواك /

غصتُ وتنقّلتُ بينَ الكثيرِ والكثيرِ من الكتبِ بجميع الأنواع، ما جذبني لعالمهِ روايةً من نوعٍ أعشقهُ، بإسمها أخذتني لعالمها كليّاً " زهرةُ الأشواك " وبمعناها انتقاء زهرةٍ من بينِ عالمٍ من الوحوش والأشواك وأنّهُ لا بدَّ من وجودِ خيرٍ بين شرٍّ لا يضاهي الكون وأثبتت في نفسي بحروفها أنَّ اليوم أو الغد بإمكاني إيجادِ ما أحلم وأتخطّى الصعاب وأصلُ إلى ما أتمنّى زرعت داخلي يقيناً بلقيايَ لحبٍّ يسكنُ أعماقي رغم قساوةِ الظّروف، وأنّه مهما بلغَت منافذُ الشّر الخيرُ بنورهِ سينتصر.
وأمّا عن عالمِ الكتبِ، أقولُ لكَ اليوم أنتَ عالمي الّذي أجدُ فيهِ نفسي حبّي لكَ لا حروفَ ولا كلامَ ينصفهُ أنت الملاذُ والرّاحة أنت يقيني بأنَّ الأحلام يوماً لها حقيقة.

*****

/ لهيبٌ مضمر /

أيا ساعي البريدِ هل لكَ أن تأخذ الأشواقَ عن كاهلي وترسلها لقلبٍ ما من بعيد؟

أيا الحمامِ الزّاجلِ هل لكَ أن تطيرَ محلّقاً في سماء الحبِّ منثراً شوق روحي لمن بنارِ البعدِ أضناني؟

أغمضتُ عينيّ ولهيبُ القلبِ الّذي يسكنُ بينَ الضّلوعِ يدفئُ صريرَ وجداني الملتاع من برودِ البعدِ، يرجو عناقاً ممن غزاهُ من الحنين أطنان، وأشعلَ مقودَ الأضلعِ نيراناً بشدّةِ الشّوقِ تثقلُ الميزان، وضعتُ يديَّ موضعَ قلبي وقلتُ مع زفرةٍ تدلُّ على الكمِّ الهائلِ من شوقي لمن بروحهِ زيّنَ عتمةَ الوجدان: متى نلتقي وأطفئ ما اشتعلَ في القلبِ من نيران، وأضمّك بأضلعي لتخترقَ وجداني وأبعدكَ عن مرأَ الخلّان، أكلتُ وابتسامةٌ تزيّنُ ثغري، وزادت أثرها وتيرةُ قلبي: ما دامَ القلبُ ينبضُ فأنتَ داخلي حيٌّ والعينُ من لهفتها لرؤياكَ أصبحتّ تنثرُ عبيرَ الياسمين والرّيحان، إنتيهيتُ وعدتُ لثباتي وأنا أضمُّ جسدي بيديَّ كأنّ روحهُ تعانقني وتقولُ لي: القلب بحوزتكِ والعقلُ يشيْدُ لكِ المناظرَ من أفخمِ الألوان.

*****

/ ما وراء الخيال /

ماذا لو كان للماء ذاكرة؟
ههها ماذا تقولي للماء ذااكرة؟!!

أها نعم ألم تسمعي يوماً أنّهُ أصبحَ للقمر عيون وفمٌ يتكلّم هههههه، لماذا علامات الصّدمة هذه، أقول لكٍ: تخيّلي لو أنّ هناك ذاكرة للماء كيف ستخزّنُ الذّكريات، وهي سارحةً في خيالها أجابت بعمق: ستنقشُ بينَ كلِّ قطرةٍ وقطرة معالمِ الزّمن، ومن أثرِ القسوةِ في المواقف ستخدشُ القطراتُ لتتشابكَ مع بعضها، حينها لا تعلمي إن كانت ماء أم ماذا، ستري الثّقوبَ في منحنياتِها، ستدركُ أنَّ الماء أصبحَ بهذا المزيج القويّ الّذي يصعبُ تحليلهُ من فرطِ ما آلَ إليهِ من كيد البشر، إيّاكَ وأن تحاولَ تفكيكُ جزيئاتِ الماء لأنّهُ حتماً سيفقدُ تجانسهُ ويضعفُ ويؤدّي بسوء حالهِ قتلِ البشر.

مع تنهيدةٍ أخرجتُ حروفي وقلت: معكِ كلُّ الحقّ أيّتها النّجمة ربّما عقولنا لا تدركُ مدى تفاقم الأمور.

النّجمة وهي تربّتُ على ظهري نطقت أخرُ كلماتها: لا عليكِ هوّني عن نفسك يوماً ما كلّنا زائلون، وهي تبتسم أكملت: سآتي غداً لنتكلّم عن شيءٍ أكثرَ تخريف هههه.

عدتُ إلى رشدي من عالمِ الخيال قلت وأنا أبتسم: كم أنتِ ساذجة أيّها الحياة بكلّ ما بكِ وعاودت غفوتي لأكملَ أخر أحلامي.

*****

/ لحظةُ إنعاش /

حروفٌ من موسوعةِ الألغاز، نظرتُ بمقلتيَّ لتفاصيلٍ كم أعشقها فتوهّجَ قلبي ببريقِ الإنجاز، اقتحمتُ كلّ أركانِ المجاز، عادَت لروحي عهدها فأيقنتُ أنّهُ دامَ خالقي اللّهُ فسأبلغُ الجنّةَ وأكونَ ممّن بها فاز.
ابتسامةٌ زيّنت ثغري، كأنّني للتّوِّ ابتديتُ عمري، بتذكّري أنّ هناكَ روحٌ تنعشُ روحي، فبها ازدتُّ يقيناً أنّ كرمَ اللّهِ دائماً ما يأتي للقلبِ منيراً، فهو من وضعَ داخلَ الفؤادِ بريقاً بتوهّجهِ أحيا البصيرة، فأدركتُ بذلكَ غايتي، وهي أن أشيّدَ عرشَ قلبي لمن كانَ لهُ أميراً، وأكن باتّزاني تاجهُ المكلّلُ بالصّلاحِ وبأخلاقي أشكّلُ له طريقاً بالحبّ يكن مصباحاً منيراً.

******

/ خير البريّة /

ما بين الإلف والياء لا حروف ولا صفات ولا كلام من أوّل محيانا حتّى الممات يصفُ خيرُ خلقِ اللّه، من اصطفاه اللّه وكرّمه وبالأخلاقِ ورسالةِ التّوحيد أنعمه، إختارهُ وانتقاهُ حبيبُ الخلق، نبيُّ الحقّ، وخلق في قلوبنا نوراً من نورهِ دونَ أن نبصرهُ دونَ أن نرى جمال محياه، صلاةُ اللّه وسلامهُ عليهِ، هو البشير النّذير من أتى بكلامِ اللّهِ فهو الطّاهرُ الأمين، الأحمدُ المحمّمد المحمود المصطفى، فمن صفاتهِ الإخلاص والهدى مكلّلٌ بالوفاء، أخرُ حروفي وليس أخرها، أنت حبيبنا نبيّنا خير الأنام مختارنا رسولُ اللّهِ من بعثُ بالحقِّ ولكمالِ الأخلاقِ لنا، صلّى اللّه عليهِ وسلّم.

*****

/ عاد قلبيَ نابضاً /

وبعد لقاءٍ ظننتُ اللّقاء عقبهُ مستحيل.
تصادمتُ وازدادت وتيرةُ الإحساس، تشابكتِ الأيادي والأصابعُ بالأصابعِ وغزى قلبيَ الإحساسُ بجمالِ الإنعاش، رفعتُ مقتليَّ لأصدّقَ حدثي بما شعرَ وأملأُ العينينَ بكحلةٍ ساحرةٍ خطفت عقبها الأنفاس.
شعورٌ بالتّوتر حرارةٌ بالأعصاب تورّد الخدّينِ ممّا رأيتُ كأنّني أرى اللّؤلؤُ والألماس، سكنتَ قلبي غزيتَ مرهفي بحبٍ قاتلٍ يا من انتقيتكَ من بينِ الحشودِ وملايينٍ من النّاس، أنت لقلبي نبضه ودمٌ في عروقي أسميتكَ، أنتَ من أحييتني وجعلتَ داخلي بدلَ الإحساسِ ألفاً من الإحساس.
حين التقيتكَ عاد قلبيَ نابضاً.

*****

(قسم الاقتباسات)

/ إسراء /
إسورٌ من لؤلؤٍ مكنون، ومن بريق قلبي خلقتِ الحياةُ بأجملِ الفنون.

*****

/ رباط الرّوح /
رباطٌ تكنُّ لهُ القلوب ويبقى شعارُ الزّمان، فيصبحُ لرّوح الوتين، ويشكّلُ الدّماء للشريان.

*****

/ لمعةُ القلب /
يسلّطُ الضّوء على القلب، فتحيا البصيرةَ منتشيةً نور القمر، ويتشكّلُ من ضياءهِ بوصلةَ المسار.

*****

/ جمال العوض /

ما سيأتي أجملُ ممّا قد رحل فما عليكَ إلّا أن تجعلَ ميادينَ قلبكَ حدائق مزيّنة بيراعينٍ تستقبلُ طبول الفرح بكلِّ إشراقةٍ ولمعانٌ يعيد للعيون بريقها.

*****

/ نور البصيرة /

ولتزدْ من صدى روحكَ، ولتقطع بمنداتكَ دروباً، وانسج من جمالِ لمعةِ قلبكَ حبلَ الوصال.

*****

/ جمال التّبديل /

في كثيرٍ منَ الأحيان يجبُ أن نكونَ كفصلِ الخريف، نسمحُ لجميعِ النّبذاتِ الّتي بداخلنا أن تتساقطُ، لكي نسمحُ لربيعِ قلوبنا بأن يزهرُ من جديد.

*****

/ جليسُ الرّوح/
يا جمالُ عيونٍ علِقتْ في غرامها نظرة عيناي، يا حبيب الرّوح وجودكَ في القلب سلطان.

*****

/ غرام /
في موجِ عينيكَ طرباً صنعتُ منهُ إيقاعاً أحيا ترانيمَ قلبي.

*****

/ الغيرة /
كالسَّيفِ في الغمدِ إن خرج مع خروجهِ اقتطعَ الحبال، كالموجِ في البحرِ هي إن هاج اكتسحَ الرمال، شمسٌ في لهيبها بركانٌ حارقٌ غيرُ مبال، هي (الغيرةُ) إن فاض بها الشّعور اشتعلَ الكيانُ والأوصال.

*****

/ هيام /

نظرتُ إلى السّماء لأرى نورَ القمر، فما أبصرتْ عينيَّ سوى ضياءُ محياكَ أزالَ عتمتي.

*****

/ من معاني الألم /

تغمضُ عينيكَ هروباً من الواقع، فترى نفسكَ صريعَ أفكارك، وانتقلتَ من حربِ الخارجِ إلى معاركِ الذّات.

*****

/ ألم التّفكير /

صداعٌ مفرط كفيروسٍ دائم، ينهشُ دماغي، أشعرُ وكأنّني داخلُ حلبةِ مصارعة، أخوضُ صراعاً مع نفسي نهايتهُ الحتميّةَ إمّا غالبٍ أو مغلوب.

*****

/داءٌ مزمن /
كشوكةٍ في كومةِ صوفٍ انتزعت وفي نزعتها مزّقتْ الجوف، إنّهُ ألمُ القلب.

*****

/ من معاني الإغتراب /
أنّكَ تقفَ أمامَ نفسكَ لا تعرفُ ملامحكَ قطّ، ولا تعلم من ترى، كلّ ما يخطرُ في زهنكَ أنّكَ أمام شخصيّةٍ مجهولةُ الهويّة.

*****

/ من معاني الإغتراب /
أن تكونَ محتاطٌ بكثيرٍ من النّاس من حولك، ورغم ذلكَ تجدُ نفسكَ وحيداً ما من مؤنسُ وحدتكَ.

*****

/ خفايا التّفاصيل /

في القلبِ ما أبصرهُ الأعمى في سخطٍ، وفي الرّوح أنينٌ سمعهُ الأصمّ في وجلٍ، وفي العنين حزنٌ تنغّم في فهمهِ الأبكمُ في هلعٍ، وإنّ في المحيا ما لا يراهُ المبصر، ولا يدركُ تعبيرهُ العاقل المرشد ويعجزُ عن تحليلهِ المحنّك.

*****

/ عن عدمِ الإستسلام /

وبعد كلِّ ذاكَ السّقوط لا بدَّ والنّهوض من جديد، كما الورد يذبلُ من الشّوكِ المحطاة به فيتحدّاهُ ويزهرُ ليخرجَ أجمل ما فيه.

*****

/تجديد /

كلّ يومٍ تذبل الزّهور ويتجدّد ياسمين أروع وأجمل وأكثر بهجة إلى أن يملئ البستان أناقة وأطهر الألوان.

*****

/ نفحة أمل /

مازلت أؤمن بأني سأصل يومًا إلى حلمي، وأبني بعزيمتي جسرَ العبورِ وصولاً إلى قصر تحقيقة الأمنيات.

*****

/ رونق الأمل /

في ثقوب الحياةِ وبينَ خدوشها هناكَ شمسٌ صاطعة لا بدَّ من إشراقها.

الأمل أسمى مافي الوجود.

*****

/ استمرار /

مـهمـآ بلغت صـعوبـةُ الوصـول، لحظـةُ النّجاح كفيلة بأن تذيلَ عناءَ المـسـير.

*****

/ العزيمة /

ولتصنع من عثراتِ الطّريقِ سلّماً، واصعد أدراجهُ لتصلَ إلى السّماء، وبعزيمتكَ تصبحُ قادةَ النّجوم.

*****

/ خلف القمر /

كلُّ معتمٍ مجهول وفي سواد الليل ترصّدِ النّجومَ وصولاً إلى ما يكمن خلف القمر.

*****

/ اقتناص الفرص /

فلتسرق من تفاصيلِ الحياة فرصةً واصنع منها قوام نفسك.

*****

/ صراع الزّمن /

مـازلتُ في صـراعٍ مـع الزّمـن، أرى نفسـي أقبعُ بين عقارب السّاعة، أتأرجحُ على مـعآلمِ الثّانية والدّقيقة، مـسـرعةً لعلِّ أتدآركُ لحظـةَ آلوصـول، مـنتشـيةً جمـال الإنتصـار.

ومـازالَ قلبي يخفقُ مـسـتنشـقاً أجمـل العطـور.

مـحلّقاً في سـمـاء السّعادة وصـولاً إلى مـبتغاه.

*****

/ في حبِّ الذّات /

وابحثْ عن كلّ ما هو جميل، واستنشق عبيرهُ، واصنع لنفسكَ رونقها الخاص.

*****

(الخاتمة)

مهما بلغت مصاعبِ الحياةِ لا تدع روحكَ تستسلمُ لهواجس الفشل،

الحياة ليست إلّا طرقاً ملئةً بالعثرات منها ما يؤذينا ومنها ما يجعلنا نحلّقُ في سماء الأملِ كطيورِ حرّةً ما من موقفها،

ولكن في حميع الأحوالِ اجعل من عثراتِ الحياةِ سلّماً تصعدُ أدراجهُ وصولاً عنانَ السّماء،

وكن لنفسكَ كما تهوى أنت لا كما يهواهُ لكَ النّاس،

واستشعر بقلبكَ جمالَ الوصولِ متغلّباً على مصاعبِ الحياة،

واصنع من رحابِ الحياةِ ورحيقها رونقاُ تجدُ بهِ قوامَ نفسك.

وأخيراً مهما وقعت ابتسم وانهض فالحياةُ أجملَ من ان نملأها بالأحزان.

بقلمي أسيرةُ الصّمت

*****